الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

تخصص: دراسات أدبية

الموضوع:

دراسة في الرموز والدلالات لرواية لبيك حج الفقراء " مالك ابن نبي"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الليسانس

إعداد الطالبين:

- أسامة نبيل نويصر
- مليكة مبرك

إشراف الأستاذ:

-د/ بشير بحري

السنة الجامعية: 2021/ 2022

شكر وعرفان

تقدما منا لشكر الله

لأنه من لم يشكر الخلق لم يشكر الخالق

كما نشكر الأستاذ المشرف الدكتور

"بشير بحري"

على قبوله الإشراف على هذه المذكرة وعلى كل النصائح والتوجيهات الصائبة التي قدمها طيلة فترة الدراسة .

كما نتقدم بالشكر الخالص إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل

الإهداء

مرَّت قاطرة بحثنا بكثير من العوائق، ومع ذلك حاولنا أن نتخطاها بفضل

من الله ومنَّه

إلى نفسي أهدي ثباتي، ثم إلى أستاذي الذي لمستُ منه روح الأبِ

والمربي قبل المعلم: د/ بشير بحري

أسامة

الإهداء

أهدي تحياتي الخالصة إلى الحنونة التي ربتني، إلى الجوهرة التي تعبت وسهرت لأجلي " جدتي وحبيبتي وسندي " وكذلك الشكر موصول لجدي دون أن أنسى تعبه كل صباح معي، والله لن أوفيكما حقكما أبدا ومهما فعلت لن أستطيع أن أرد لكما ولو القليل، سأهديكما هذه الشهادة دليل على أن تعبكما لم يذهب هباءً، بالإضافة إلى الأستاذ: بشير بحري التي أتمنى منه أن يتقبل كل تحياتنا أنا وزميلي، فقد كان الناصح والموجه دوما، دون أن أنسى صديقي وزميلي " أسامة نويصر نبيل " الذي رافقني طوال مشواري الدراسي.

مليكة

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تُعتبر فترة القرن العشرين ومطلع القرن الراهن فترة حقَّقت فيها الرواية الجزائرية الحديثة ثراءً فنيا متميزا، حيثُ تمكَّنت على يد جيل توّاق وطَموح للتجديد أن تبرز مكانتها فعرفت بذلك انتشارا واسعا في الساحة الأدبية، وذلك إن كان لشيء فهو لأنها تعالج القضايا الاجتماعية والنفسية في قالب قَصصي يشدُّ القارئ، فواكبت بذلك مختلف التحولات والتغيرات الحاصلة في المجتمع، ليُخرج لنا روادها فنا أدبيا سرديا فذا، تنوعت أساليب خطابه كونه فنا منفتحا على الخطابات الأخرى؛ الدينية والتاريخية والأسطورية ..،فكانت بذلك الأقرب إلى القارئ وبأساليبها المتعددة والمختلفة.

مما لا يختلف اثنان عليه هو أن العمل الروائي أقرب مرجع للوصول إلى الواقع المعاش في المجتمعات، ولكي ينقل لنا الروائيون هذا الواقع بأسلوب جمالي سعوا إلى توظيف الرمز والإيحاء والتشفير أحيانا في رواياتهم، فصار بذلك الجمال جمالين؛ جمال المحاكاة وجمال الخطاب الرمزي

أمام هذا الطرح اخترنا أن يكون مجالُ بحنا في هذا الخطاب عن المفكر الجزائري " مالك ابن نبي 1905 – 1963م " وروايته اليتيمة " لبيك حج الفقراء " التي " تدور أحداثها في مدينة عنابة (بونا إبان الحقبة الاستعمارية) حيث وضع ابن نبي القارئ آنذاك وحتى اليوم في الأجواء التي كان يعيشها الإنسان الجزائري البسيط في كل مدينة جزائرية كعنابة، حيث مؤثرات النمط الأوروبي قد طغت على الجو العام [1]"، وبعد قراءة متأنية لمضمونها والغوص في جمال فنياتها؛ لاحظنا بروز الرمز فيها، فحوالنا بتوجيه أساتذتنا الكرام وبمعرفتنا الفقيرة والمحدودة أن نتتبع خيوط هذا الجمال الفني والإبداع الخطابي لنفك شفرات رموزها المتجلات في الرواية

ولعل هذا هو أحد أسباب اختيارنا لهذا الموضوع أساساً، بالإضافة إلى ما يلعبه موضوع الرمز من دورٍ كبير في الرواية الجزائرية الحديثة؛ كان اهتمامنا بهذا المفكر العالم وبمؤلفاته والرغبة في الولوج إلى عالمه ومعرفة أسرار توظيف الرموز في خطابه الروائي سببٌ أيضاً في اختيارنا لعمله الروائي الوحيد هذا على وجه الخصوص، فكان " دراسة في الرموز والدلالات لرواية لبيك حج الفقراء " عنوان بحثنا هذا، مُصيغين في ذلك الإشكال الآتي: ما المقصود بالرمز؟ وكيف تناولت الدراسات الأدبية هذا الأسلوب؟ وما هي مدلولاته وتجلياته في الرواية الجزائرية عامة وفي " لبيك حج الفقراء" خاصة؟!

[1] خوليف زيدان، "مقدمة المترجم" في رواية مالك بن نبي "لبيك حج الفقراء"، صفحة 17

وانطلاقا من هذا التساؤل وبعد أخذ ورد تولد تلنا خُطَّةُ عملٍ كالآتي: نستهل بداية بحثنا بمقدمةٍ، ونذيلهُ بخاتمة، يتوسطه فصلين؛ الأول معنون بـ " الرمز في الدراسات الأدبية "، يظُّم هذا الأخير ثلاثة عناصر:

أولا: مفهوم الرمز؛ لغة واصطلاحا

ثانيا: الرمز في الدراسات الأدبية

ثالثا: الرمز في الرواية الجزائرية

ثم يليه الفصلُ الثاني والمعنون بـ " تجليات الرمز ودلالاته في رواية لبيك "، والذي سنتطرق فيه إلى عنصرين:

أولا: تجليات الرمز في الرواية

ثانيا: دلالة الرمز في الرواية

تُعتبرُ الدراسات السابقة التي تناولت هذه الرواية قليلة إن لم نقل قليلة جدا، وذلك في أن " لبيك حج الفقراء" تُعتبر روايةً مجهولة، وعملٌ لم يُذع صَيته بالقدر الذي ذاعت به أعمال ابن نبيٍّ الأخرى، لكونها جاءت يتيمة..، غير أننا نلمح " قراء ة في رواية لبيك حج الفقراء (مقاربة تأويلية لرواية فكرية فلسفية) "؛ في أفق الدراسات السابقة التي تناولت هذا العمل الروائي" لابن نبي، من الأستاذة " واكي راضية – جامعة زيدان عاشور – / الجلفة ، وأعمال أخرى لا ترقى لمرتبة الدارسات الأدبية

ربما مما سَبَقَ ذكره في أن الدراسات التي تناولت هذا العمل الروائي لابن نبي مُحتشمة جدا؛ سببٌ من أسباب صعوبات بحثنا هذا، بالإضافة أيضا إلى اتساع مجال البحث في الرمز.. كما أن ضُعف مكتسباتنا القبلية ليس ببعيد عن أسباب هذه الصعوبات..، لكننا بفضل الله وتوفيقه ثم بفضل الأستاذ الدكتور المُشرف على ورقة بحثنا: بشير بحري؛ والذي لم يبخل علينا – على غرار إمدادنا بالمراجع – بالنصائح والإرشادات التي كانت دافعا لنا لمواصلة البحث

استزدنا في رحلة البحث هذه بمجموعة لابأس بها من المراجع، نذكر منها؛ الرمز في الخطاب الأدبي لحسن كريم عاتي، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر لمحمد فتوح أحمد، التأريخ التاريخي مبين السبي البابلي و أرائي الصهيوني؛ التأريخ التوراتي المزيف بين إسرائيل الكنعانية وإسرائيل العبرية وإسرائيل الصهيونية للصمادي، إسماعيل ناصر، المقدس والمدنس لمرسيا إلياء، بُنى المقدس والمدنس عند العرب قبل الإسلام ليوسف شلحت، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث لحسن سالم هندي

اسماعيل.. والعديد من المراجع الموجودة في قائمة المصادر والمراجع، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا – كأي عملٍ بحثيٍّ أكاديمي – المنهج الموضوعاتي؛ الذي يقوم على تتبع التيمات الكبرى والصغرى في العمل الأدبي، لما رأينا تناسبه والدراسة التي نحن بصددها.

الفصل الأول:

الرمز في الدراسات الأدبية

1- المبحث الأول: مفهوم الرمز:

•لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة الرمز معناه تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة الصوت وإنما هو اشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة كما أشرت إليه مما يبان بلفظ أي شيء أشرت إليه بيد أو عين[1]

•اصطلاحا: الرمز يحمل معان ومفاهيم واسعة وفضفاضة يرتبط بالدلالة ارتباطا وثيقا، إذ أن الرمز يتخذ معنى وقيمة مما يدل عليه ويوحي به، فقد اتخذه بعض فلاسفة الإغريق ومن بينهم " سقراط " و" أفلاطون "وسيلة للتعبير عن الانطباعات النفسية عن طريق الألغاز والتلميح بدلا من الأسلوب التقريري المباشر،وذلك أن دعاتها وجدوا أن العقل عاج عن الوصول إلى الحقائق وأن العلم لا يمكنه إشباع رغبة الإنسان لمعرفه أسرار الكون [2]

ويفهم من ذلك أن الرمز هو أسهل طريقه لإيصال الانطباعات النفسية، ونقصد بالرمز ذلك التلميح بمختلف مظاهره دون الإقرار المباشر، ويرى " سقراط " و" أفلاطون "أن في ذلك وصولا إلى الحقائق وإقرارها في النفس والوصول إلى أسرارها بدلا من إعمال العقل بصفه مباشره، كما يرى " نسيب النشاوي" في كتابه " مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي " على أن مفهوم الرمزي هو: " بمثابة إشارة من الشاعر أو الأديب يختفي خلفها بعض الأمور التي لا يريد المؤلف أن تصل بشكل مباشر إنما ببعث وتحري، فالرمز غالبا ما كان قناع المبدع الذي به استطاع أن يتجاوز المواضيع ويصفها في مثل شعراء العصر الجاهلي[3]"

نفهم من هذا أن الرمز يشابه التورية، حيث يختفي المعنى الذي يريده الأديب أو الشاعر خلف هذه الرموز في تجل إبداعي من الأديب والقارئ على حد سواء،فإن كان الشاعر قد أبدع في وضع

[1]ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار الصادر، بيروت 1997، ص 119

[2]محمد التو نجي، المعجم المُفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ج2 1999، ص 488

[3]نسيب النشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، الجزائر1984، ط1، ص460

هذه الرموز فإن القارئ لا يقل إبداعا منه في فهمها والوصول إلى المعنى المراد منها، كما يزيد " نسيب النشاوي " في تعريفه الاصطلاحي للرمز في الأدب على انه: " هو الإحياء أي التعبير غير المباشر عن نواحي النفسية المستترة، أما الرمزية فهي أن توحي بأفكار وعواطف باستعمال كلمات خاصة في نظام دقيق لنقل المعنى بتأثير خفي أو غامض، بحيث ينطبق المعنى في آفاق واسعة جدا، فالرمزية هي التعبير عن الأفكار والعواطف ولكن بطريقه غير مباشره وإنما بواسطة توقعات لماهية الأفكار والعواطف وذلك بإنعاشها في عقل القارئ من خلال الاستعمال الرمزي غير الواضح لها"[1]

ويفهم من هذا التعريف أن الأديب يعبر بالرمز عن مختلف مكنوناته النفسية المستترة فيتجلى للقارئ فقط بالغموض والإبحار داخل هذه الألفاظ والمعاني، ويرى " نسيب النشاوي "أن الرمزية لها حقل دلالي خاص يربطه نظام دقيقه حتى يتسنى للأديب أن ينقل المعنى بتأثير خفي و غامض فيكون المعنى بآفاق واسعة،وتعرف "سارة العتيبي " الرمز على أنه: "أسلوب فني يستخدمه الأديب بحسب تجربته الشعورية أو نظرته الفنية وتساهم هذه الرموز في تشكيل المعنى الذي يود إيصاله، والرمز يكون كلمة أو عبارة أو شخصية أو اسم مكان.. ويتضمن دلالتين إحداهما مباشرة والأخرى باطنه مرتبطة

بالمعنى المراد تبليغه مثل استخدامه للحمامة رمزا للسلام والدماء رمزا للحرب والقتل، والمطر رمزا للخير، والميزان رمزا للعدالة "[2]

إذا فللرمز تجليات واستخدامات مختلفة يستخدمها الأديب حسب نظراته الفنية ليصل الأديب للمعنى المراد إيصاله، ويتجلى الرمز عبر كلمة أو عبارة أو اسم مكان.. وللرمز دلالتان أولها ظاهره وأخراها باطنه، والباطن هو المراد تبليغه، فالرز هو إحداث بين طرفين من خلال حذف أحدهما

[1] نسيب النشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص 460

[2] .سارة نجر ساير العتيبي، الرمزية وتجلياته في الشعر العربي الحديث، قسم اللغة العربية– كلية التربية بالمزاحمية – جامعة شقراء، ص 217

وهو(الطرف الأول) وجعل الطرف الآخر(إشارة) لذلك الطرف المحذوف، وهذا مثل قوله تعالى: " يخرجكم من الظلمات إلى " [1]

وقوله أيضا: " كونوا حجارة أو حديدا "[2]، فالظلمات إشارةٌ أو رمزٌ للكفر والنور رمز للإيمان والحجارة رمز للقوة والحديد رمز للشدة ، ومثال ذلك في قوله – عليه الصلاة والسلام – : (آاه من قلة الزاد) وقله الزاد هنا رمز لقلة الطاعة، والفارقُ بين الرموز وغيره من الصور أن الرمز يتضمن طرفا واحدا يرمز إلى طرف محذوف بينهما، نجد في الصور الأخرى طرفين مثبتين يقومان على علاقات التشابه أو الإعارة أو التقارب أو التمثيل..

ونخلص إلى القول أن معنى الرمز هو الإشارة أو الإيحاء لغويا كما أنه اصطلاحا يعني جعل العبارة مؤشرا إلى دلالة محذوفة يقوم الرمز نيابة عنها بصفته ينطوي على إيحاءات متعددة تكسب الدلالة مزيدا من العمق والتنوع، والملاحظ أن الاتجاه الأدبي المعاصر يستخدم الرمز بنحو المكثف حتى لا يكاد يتميز بطغيان هذا العنصر على غيره من صور التشبيه والاستعارة ونحوهما، والسر في ذلك في أن استخدام العبارة الرمزية تتسع لمزيد إمكانيات التعبير،مادام الرمز يحمل إيحاءات و تكثيفا للدلالات في أدق وأشمل مستوياتها، ومن هنا عرف الرمز – في اللغة الأدبية المعاصرة – بأنه تعبير محدود عن اللامحدود أي أن الرمز (مثل عبارة النور) هو تعبير محدود (لكلمة واحدة أو أكثر) ولكنها تعبر عن معاني ودلالات لا محدودة، متنوعة مثل: الإيمان، الخير، العطاء، البشارة النعيم، الحب..

بما أن كل شخص يمتلك تجربة خاصة تختلف عن الآخرين فإن استخدام العبارة الرمزية التي تترشح بعدة إيحاءات تكون أكثر فاعليه من العبارة غير الرمزية،لأن كل شخص يستخلص منها معاني تتناسب مع خبرته الثقافية، وهذا على العكس مما لو حددنا له لفظا معينا، حيث سيجمد على المعنى

[1] سورة البقرة، الآية 255.

[2] سورة الإسراء، الآية 50.

اللغوي لهذا اللفظ، ولهذا السبب نجد أن القران الكريم وأهل البيت يستخدمون الرمز في سياقات كثيرة تتطلب أن يعمل فيها ذهن الإنسان ليستخلص ما تتضمنه من دلالات متنوعة تتناسب مع تجربة كل شخص على نحو نلحظه لاحقا.

1. مفهوم الرمز عند تشارلز بيرس(Charlespierce):

يندرج تحت مفهوم الإشارة التي يقسمها إلى ثلاثة أنواع:

1) الأيقونة (icon)

2) المؤشر (index)

3) الرمز (symbol)

✓ **الأيقونة:** عبارة عن صورة شيء أو موضوع تقوم على أساس وجود تشابه بينهما وبين الموضوع المشار إليه، مثل الصورة الفوتوغرافية والتماثيل والخرائط والرسوم البيانية

✓ **المؤشر:** من أهم خصائصه أنه يشير إلى الموضوع المشار إليه بسبب تأثره بذلك الموضوع،فالعلاقة بين الدليل والموضوع المشار إليه تقوم على الاتصال وليس على التشابه، فالدليل جزء من الموضوع المشار اليه وبتأثره، مثل أعراض المرض تشير إلى وجود مرض معين والغيوم تشير إلى نزول المطر وصوت الجرس يشير إلى وجود شخص أمام الباب

✓ **الرمز:** يمثل الرمز النوع الثالث من الإشارات عند "بيرس " ويشير الرمز إلى الموضوع المشار إليه بسبب وجود قانون أو عاده أو اتفاق أو ارتباط بين الأفكار من حيث أنه يعني ذلك الموضوع، وفي هذا المعنى تعتبر الكلمات والجمل والعبارات والكتب وسائر الإشارات المتفق عليها رموز[1].

[1]زينة جسام محمد، محاضرة بعنوان " مفهوم الرمز عند بعض العلماء "، جامعة المستنصرية/ كلية الآداب، قسم الأنثربولوجيا والاجتماع 2019-2020، ص1-2.

2. مفهوم الرمز والإشارة عند دي سوسير (de sessure):

- ✓ **الرمز:** هو نوع من الإشارة، يُطلق عليه اسم المشير أو الدالة، وتوجد رابطه طبيعية بين الرمز والمرموز إليه، مثل الميزان هو رمز العدالة، والرمز هو حامل التصور أو المعنى
- ✓ **الإشارة:** تعني الارتباط الكلي بين تصور ما وصورة صوتيه محددة، مثل كلمة شجرة وهي عبارة عن صوت مرتبط به تصور معين

3. مفهوم الرمز عند ادوارد سابير(edouardsapir):

يقصد سابير بالرمز أوعلامة أو إشارة الهدف منها استدعاء وتوجيه الاهتمام الخاص نحو شخص أو موضوع أو فكره أو نشاط مرتبط بصوره مبهمة أو غير مرتبط على الإطلاق على أساس طبيعي بذلك الرمز، ويذهب إلى أن كثير من الأشياء والمواصفات التي لا تعتبر هامه في حد ذاتها مثل الأعلام أو إشارات المرور تكتسب الصفة الرمزية على أساس أنها تشير إلى أفكار وأفعال ذات أهميه كبيره في المجتمع[1].

2_ المبحث الثاني: الرمز في الدراسات الأدبية

إن إمكانية اكتشاف الرمز سهلة نسبيا في الخطاب الأدبي، ووضوح أثره فيه يُغريان في الإبهام بمعرفته اليقينية، وبمعرفه حدوده وآفاقه وآلية عمله وطريقه تشكله ومن بعد تعريفه، غير أن تلك السهولة و الوضوح يشكلا معضلة تعريفه الحقيقية بسبب تماهيه في غيره

لذلك إن تعريف الرمز يتطلب معرفة حدود ما يجاوره من عناصر أو ما يقترب منه من أدوات الأسلوبية ومعرفة ما تلتقي معه فيه وما تفترق به عنه، مما يساعد في معرفه آثاره في الخطاب ومعرفة آلية عمله، ومن بعد محاوله الوصول إلى تعريفه للوصول إلى طبيعة عمله في النص الأدبي ومميزاته المضافة في الأنماط الإبداعية، مما يستلزم معرفة حدود ما يجاور الرمز من عناصر بنائيه في النص –الشخصية مثلا أو وسائل أسلوبية كالكناية والتشبيه والاستعارة إذ تشكل أدوات تقترب منه بخلق

[1] زينة جسام محمد، محاضرة بعنوان " مفهوم الرمز عند بعض العلماء "، ص1–2.

الصورة أو اتجاهات فلسفيه تأخذ منه حجرة الزاوية في رؤاها للعالم – فالصدق الفني قناعة يخلقها النص،في حين يمثل التماسك الداخلي آلية كتابة ترتبط بقدرات المنتج على إنجاز نصه وإخراجه بتفرد، مما يجعل له صوت متميزا عن غيره من الأصوات،ويجعل كذلك من الصدق الفني نتيجة يؤدي إليها التماسك الداخلي في متن النص؛ ذلك ما يدفع بعناصره إلى التفاعل فيما بينها لتنتج أثرها في المحيط، ويكون الرمز من بين العناصر الأكثر حيوية في الاستثمار بما يوفره من وحده فكريه أو ذهنية؛ وإذ يهدف إليه استحضاره، وهي مزية الرمز الأكثر بروزا عند سائر العناصر الأخرى في الخطاب الأدبي وإن أشركت معه في هذه المزية عناصر أخرى، غير أنها أكثر وضوحا في الرمز.

مما تقدم يتضح أن عناصر النص الأدبي ومن بينها الرمز تتأثر تأثرا مباشرا بالاهتمامات الفكرية لمنتجه الذي يحاول التعبير عنها بقدراته الفنية لجعله يؤدي وظائف يرغب في تأديتها، وهو ما يجعل من الرمز قناع المؤلف غير أن ذلك القناع نفسه يتأثر بمحددات سلطته تلك في إنتاج النص أيضا.

إن العملية الإبداعية لكي تتحقق فعاليتها تعتمد على قدرات منتج الخطاب في استخدام عناصره ومن بينها الرمز لكي يصل إلى توفير الصدق الفني المرتبط بما يوفره النص من قناعات، فيكون بذلك صدقا أي نوع من الصدق المتصل بصحة المروي أو خطئيه أو اتفاقه مع القناعات العامة الشائعة، أو أن واقعية الراوي تتطلب المقارنة.

إن الصدق الفني يرتبط بالنص نفسه تح ديدا بما يوفره من حيثيات وأن ذلك الصدق لا يتأتى إلا بالتماسك الداخلي للنص إلى جانب من أن التماسك الداخلي والصدق الفني لا ينفكان ليعملا معا فهما في الآن نفسه مختلفان من حيث تأثيرهما في النص، فإذا كان الصدق المقروض من خارج النص هو الذي يتصل بالقناعات الشخصية لمنتجه –وإن اتفق مع الشائع من القناعات – غير قادر على النهوض بفنية النص إذا افتقر إلى التماسك الداخلي، وهو الذي قد يستثمر تلك القناعات، على حين

التماسك الداخلي للنص يكون قادرا على النهوض بفنيه النص وإن حاور القارئ بقناعات مغايرة لقناعاته أو المتناقضة معه أو فيه تشكل طبيعة الرمز الإيحائية ومجاورته لعناصر أدبيه أقرب إلى طبيعته المشحونة بالدلالات، كالشخصية والصورة وأدوات أسلوبية؛ كالكناية والتشبيه والاستعارة والمجاز إلى جانب اختلافه عنها جميعا، غير أن تلك الاختلافات على ضيقتها تشكل عقبه أمام محاولة الوصول إلى تعريف جامع شامل يحمل جميع ملامح الرمز ويضعه في إطار يمتلك ديمومة من دون أن يتماهى مع ما يجاوره من أدوات أو عناصر إبداعية أو أسلوبية.

إن هذه العقبة تشكل وجها واحدا من موازنة التعريف في الرمز،إضافة إلى كل ما سبق يخضع لرؤية منتج النص على تنوعها وفلسفته أو ما يمثل الإطار الفكري الذي ينطلق لتحديد امكانيه الرمز في الاستثمار لتأدية وظائف يرغب فيها أو يقصره أحيانا على تأديتها وفقه قدراته الإبداعية و أهدافه من إنجاز النص وهو ما دفع بحركة أدبية الرمزية إلى استعارة تسميته.

فإذا كان كل رمز هو ما هو؛لأنه ليس أي رمز آخر، فكل رمز يبدو مكونا من اختلافات لا حدود لها؛ وتعريف الرمز قد يكون بذلك أكثر صعوبة مما على نحو ثابت،وكل إشارة واحدة ملموسة تشير إلى واحد معين،فإنها في الخطاب الأدبي تشكل اللبنة الأساسية لتشكيل الرموز؛ فهي لا تشكل دليلا بمعنى أنها لا تكتفي بمعنى واحد محدد بل تمتلك قابلية التفاعل مع الإشارات الأخرى في الرمز وتؤدي إلى تفاعل الرموز فيما بينها، وبذلك تقترب من وصف القرينة؛أي استنباط ما هو ثابت مما هو غير ثابت.

وبذلك تتعدد احتمالات المعنى المراد بتنوع التفاعل الإشارات مع غيرها فتملك مرونة تكوين وحدات دلالة مع متعددة في منحنى الرمز بالتفاعل مع ما يجاورها من إشارات وتفاعل تلك الإشارات مع بعضها، ويؤدي إلى خلق الإيحاء الذي يعد المدخل الواسع للتأويل، ومن بعد ترجيح المعنى الذي نجنح إليه تبعا لوعينا بتلك الإشارات.لذا إن الرمز في الخطاب الفلسفي لا يعد مماثلا له في الخطاب

الأدبي لاختلاف المنطلقات الفكرية بينهما وبما يتصف به من خواص في كل منهما، ولاختلاف الوظيفة الدلالية التي يؤديها في المجال المعرفي الذي يستثمره.

فالخطاب الفلسفي والرموز ينتميان إلى عالمين مختلفين من عوالم الخطاب، وهو ما يؤدي إلى إقصاء الإشارة على المعنى المراد بها في الخطاب الأدبي، ويعد فرقا جوهريا بينهما، فإذا كانت الإشارة في النص الأدبي تملك قدرة بناء الرموز فيه ومن بعد التحول بالتراكم النوعي للإشارات الوظيفية والشكلية إلى رمز فإنها في الخطاب الفلسفي لا تمتلك مثل هذه القدرة لانتمائها إلى عالم مختلف من عالم الرمز، فالإشارة في الخطاب الفلسفي جزء من عالم الوجود المادي

والرمز جزء من عالم المعنى الإنساني لأن الإشارات يكون لها نوع من الكيان المادي الملموس،فإن الرمز ليس له وجود واقعي كجزء من العالم المادي وإنما له معنى وهو ما يخلق تعارضا بين طبيعة الإشارة وطبيعة الرمز، فإذا كانت الإشارة عاملة فإن الرموز دالة غير أنهما يتماسان في الوظيفة التي يؤديانها في الخطاب الفلسفي،فإذا كانت الرموز ليس لها إلا قيمة وظيفية فإن ما يبعث الحيوية في الإشارات المادية وجعلها تنطق إلى وظيفتها الرمزية العامة؛ هو ما يؤدي إلى عدِّ الإشارات ذات وجود مادي وتملك وظيفة كشف المعنى؛ وهي في جانب منها تثير التساؤل من أن تكون هناك إشارات غير مادية وما يمكن أن تؤديه من دور، أو أن القيمة الوظيفية لها تتماثل مع القيمة الوظيفية في الرموز، ويكون ذلك مثيرا للاضطراب حين يجري تصنيف المعلومات إلى أنواع عدة تشكل الإشارة والرمز من بين أنواعها، ويؤدي أيضا إلى الوقوع في التناقض حين نحاول إلباس الإشارة في النص الأدبي مفاهيم الإشارة من بيئة فلسفية لها منطلقاتها المختلفة.

إن الرمز في النص الأدبي يمكن اكتشافه من مكوناته ووظائفه على حين الرمزية بصفتها مذهبا تُكتشف تتبعا للأهداف المبتغاة في النص، أي إن الرمز يكتشف من عناصر بنائه على حين الرمزية

يكون ذلك على وفق أهدافها المعروفة، وان انتماء الرمز إلى النص بعينه لا يجعل من ذلك النص منتميا الى المذهب الرمزي إن لم يرتبط بأهدافها ووسائلها في التعبير.

مما تقدم يتضح أن الرمز في النص الأدبي يمكن تكييفه على تحمل أهداف المنتج، وإن تطلب استثماره ايجاد أساليب جديدة تتصل بذلك الاستثمار لتحقيق كشف المعنى المراد به الوصول الى تلك الأهداف، غير أن ذلك لا يمثل مجمل عطاءات الرمز وإنما يمثل جانبا منه لقدرة هذا العنصر من الوصول إلى الإيحاء القادر على النهوض بالمعنى المراد، فيكون الرمز في مثل هذه الحالة شأنه شأن العناصر الأخرى في النص الأدبي حين تتوافر الرغبة والقدرة على استثمارها بطاقة دلالية عالية، فرمز المذهب الرمزي لا يمثل الحدود القصوى لإمكانيات هذا العنصر وإنما هو تنويع على إيقاعه، فيكون بذلك التمويل على معرفه حدود الرمز، مثلما طرحته الرمزية تُسر له على كتمان بوحه أو تقييد لحدوده الأوسع، من بعد إضاعة فرصة معرفته[1].

3-المبحث الثالث: الرمز في الرواية الجزائرية:

يحتل الرمز أهميه كبيرة في الأدب الروائي كونه يساهم في خلق دلالات جديدة تهدف إلى إثراء العمل الروائي، وإثارة المتعة في نفوس القراء من خلال الفضول الذي تخلفه في داخلهم حول دلالته وإشارته إلى أفعال الشخصيات والحوارات داخل العمل، وقد ظهرت الرموز بشكل جلي في رواية " لبيك حج الفقراء " للكاتب الجزائري " مالك بن نبي "، لذا حاولنا الإجابة على سؤال مفاده – ما هي الرموز التي تحيل إليها هذه الرواية؟

من المعروف أن الرمز الفني له محددات جمالية ثلاثة وهي:

[1] حسن كريم عاتي، الرمز في الخطاب الأدبي، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع/ بغداد، ط1، 2015،ص 13-15 .(بتصرف)

الأولى:(إن الرمز يبدأ من الواقع ليتجاوزه ليصبح أكثر صفاء وتجريدا، ولا يختلق هذا المستوى التجريدي إلا بتنقية الرمز من تخوم المادة وتفصيلاتها.

الثانية:إن الرمز ليس تحليلا للواقع بل هو تكثيف له وفي هذا ما يربطه بالأحلام من حيث ميل كليهما إلى الإدماج بحذف الأجزاء المرموزة أو الاكتفاء من مركباتها بجزء واحد فقط، أو الإيماء بالصورة المركبة إلى عناصر ذات سمات مشتركه ولعل هذا الكثيف هو وراء ما في الرمز من غموض تتعدد فيه مستويات التأويل.

الثالثة: إن الرمز من خصائص الأسلوب وليس من خصائص الكلمات أي هو قيمة سياقية تركيبية، قيمه إفرادية)[1]

يتجلى الرمز في الرواية من خلال مجموعه دلالات:

1) العنوان تشكل العنونة بابا مهما من أبواب الدراسة النقدية الحديثة التي طرقها النقاد بأطراف أقلامهم فتنبه إليها أصحاب النصوص الأدبية فأصبحت في نصوصهم فنا وصناعة بعد أن كان العنوان لا يعطى تلك الأهمية منشأ هذه النصوص من جهة ومن النقاد من جهة أخرى فصار لا يقل أهميه من النص نفسه.

يمكن وصف العنوان بالاقتصاد اللغوي أو التكثيف المعنوي في فأول ما يستقبل القارئ العنوان وهذه الصفة على قدر كبير من الأهمية؛ إذ أنها في المقابل ستفترض على فعالية تلق ممكنة، إذ أن حركة الذات أكثر انطلاقا وأشد حركية في انتقالها من العنوان إلى العالم،و(العنوان للكاتب كالاسم

[1]محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف/ القاهرة، ط19984، ص 136-138، " نقلا من مجلة مقامات، المجلد ر: 04 ، العدد: 02 (2020)، ص 251-252.

للشيء،أو هو أشبه بالبيضة المخصبة التي ستلد فيما بعد جنينها الذي لا ينسلخ عنها–أعني النص– و الذي يرتبط بمصدره العنوان بعلاقات لغوية بايولوجية وتناصية)[1]

ويفهم من هذا أن الوقوف على عتبه العنوان يعطينا الكثير من المفاتيح التي تفك لنا أبواب العمل السردي.

2) **لوحة الغلاف:**لقد أدرك العرب منذ القدم العلاقة بين الرسم والكلام فهذا الجاحظ يرى في تعريفه للشعر على أنه (ضرب من النسيج والجنس من التصوير)[2]، ويربط الجاحظ من خلال هذه العبارة الشعر بالنسيج والتصوير على نحو أصبح فيما بعد حجه النقاد على اختلاف مذاهبهم، ويذكر التصوير وما ينطوي عليه من أخيلة.

إن العصر الحديث قد حمل ما حمل معه من ثورة معرفية جعلت للرسم أو التصوير مكانة متميزة إلى جانب النصوص الإبداعية، لتكون في كثير من الأحيان نصا موازيا لمتنه في روايته أو مجموعته القصصية؛ ولذا كثيرا ما اهتم بها الأدباء بعدها نصا موازيا يتفاعل من خلال مكوناته للتعبير عن دلالات النص مع لوحة تحمل قصدية المؤلف أو لا تحملها، ويقف إلى جانبها اسم المؤلف وصورته الشخصية، العنوان الرئيس على ظهر الغلاف ودار النشر وسنة الطباعة مع اختلاف وضع هذه العلامات في الغلاف وهي ربما تحمل في جميع أشكالها إشارات معينة.

يقول فورس: (العالم مفعم بالإشارات، هذا إذا لم يكن مكونا فقط من الإشارات)[3] ويقصد فورس بالإشارة او العلامة هنا؛ كل أنواع العلامات وكل أنواع السيمائيات؛ أي ليس العلامة اللغوية فقط وإنما أيضا العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة الاجتماعية؛ فاللباس ونظام الأزياء أو الموضة السائدة

---

[1] العبودي ضياء غني، الرمز في الخطاب الأدبي، جامعة ذي قار، العراق – قسم اللغة العربية – 2020، مجلة مقامات، المجلد: 04/ العدد: 02 ، ص253.

[2] نعيم آل مسافر، رواية كوثاريا، بغداد 2014، " نقلا من محلة مقامات، العدد: 02(2020) ، ص 255.

[3] جميل حمداوي، سيميوطيقيا العنونة، مجلة عالم الفكر، مجلد: 25، العدد: 03 ، يناير/ مارس 1997، " نقلا من مجلة مقامات، المجلد: 04، العدد: 02 (2020) ، 255.

في مجتمع ما تشكل علامات وأنظمة العلامات تختلف من مجتمع إلى آخر مثل آداب التحية وعلامات الزواج وتقاليده وإشارات المرور، كل هذا يشكل علامات وإشارات ودلالات.

3-رموز الشخصيات:

تعد الشخصية ركنا مهما من أركان العمل السردي، وواحدة من عناصره الأساسية تتجلى عبر أفعالها الأحداث وتتضح الأفكار وتتخلق من خلال شبكة علاقاتها حياة خاصة تكون مادة هذا العمل، فهي تمثل (العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية)[1]، نفهم من هذا أن الشخصية هي التي لا تستطيع التعبير عن مصير الإنسان وتحولات تجاربه إلا من خلالها، وهي تتطلع بأدوار مؤثرة مؤدية مختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي.

وتعد التسمية (شكلا من أشكال التشخيص)[2]ونوعا من إضافة الأبعاد على الشخصيات، إذن أن للاسم دورا في تفعيل ولا سيما حين يتطابق أو يختلف الاسم مع دوره في النص الروائي، هذا ويتمثل مفهوم اسم العلم الشخصي في مجال الرواية بأنه تعيين للفرد، وخلق تطابق بين اسمه وحالته النفسية والوصفية والاجتماعية بل إن المعلومات التي يقومها الروائي عن المظهر الخارجي للشخصية وعن لباسها وعن طبائعها، وحتى عن آرائها تأتي كلها لتدعم تلك الوحدة التي يؤثر عليها الاسم الشخصي، بحيث تشكل معها شبكة من المعلومات تتكامل مع بعضها وتقود القارئ في قراءته للرواية.

[1]إدريس الناقوري، ضحك حتى البكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1986، " نقلا عن مجلة مقامات، المجلد: 04، العدد: 02(2020)، ص 256 .

[2]ضياء الثامري، العنوان في الشعر العراقي المعاصر/ أنماطه ووظائفه، مجلة جامعة القادسية في الآداب والعلوم التربوية،" نقلا من مجلة مقامات، المجلد:04، العدد:02(2020)، ص 257.

4-شخصيه الراوي:

وهي الشخصية التي تروي الحكاية أو تخبر عنها، سواء كانت حقيقية أم متخيلة، ولا يشترط فيها أن تكون اسما معيناً فقد تنتفع بضميرما أو يرمز لها بحرف،و(المروي) هو كل ما يصدر عن شخصية الراوي، وينتظم لتشكيل مجموعة من الأحداث تقترن بأشخاص ويؤطرها فضاء من الزمان والمكان و(الراوي) لا يتكلم بصوته ،ولكنه يفرض (راوياً) تخييلي يتوجه إلى قارئ تخييلي ،وهذه (شخصية الراوي) هي (الأنا الثانية) للروائي.

وقد يكون شخصية من شخصيات الرواية، والمهم هو التمييز بين (الروائي) ،و (الراوي)فالروائي هو الكاتب خالق العالم التخييلي، وهو الذي يختار (الراوي) ولا يظهر ظهوراً مباشراً في النص،وأما (الراوي) فهو أسلوب صياغة أو أسلوب تقديم المادة القصصية وقناع من الأقنعة العديدة التي يختفي الروائي خلفها في تقديم عمله السردي.

وقد حظيت (شخصية الراوي) باهتمام زائد بين النُقاد والمبدعين على السواء، وذلك لأن أهميتها في الخطاب الروائي، فموقعها يتحدث وشكل الرواية[1].

5-رمزيه المكان:

كان ولا يزال المكان يشكل عنصراً من العناصر المهمة التي يؤثر في حياتنا، كونه يمثل جزءً من التجربة الحية التي تتعامل معها تعاملاً مباشرا، وكونه المسرح لكل الأحداث التي تقع في الحياة، وتأتي أهمية المكان للإنسان بوصفه مسرح إدراك العلاقات الحيوية في البيئة على صعيد الفرد والجماعة، فضلاً عن كونه يُضفي معنى ونظاماً على عالم من الوقائع أو النشاطات،فجميع نشاطات الإنسان لا تكتسب معنى إلا بعلاقاتها بأماكن معينة.

يُعد المكان من العناصر المهمة في بناء الرواية، ويمثل عنصراً مهماً من عناصر السرد الروائي لأنه الفضاء الأفقي الذي تدورا لأحداث حوله، وللمكان دور هام في تفعيل العمل الأدبي

[1]أنظر الراوي والمنظور في السرد الروائي، محمد عزام/ سوريا 2016، https://www.diwanalarab.com

والفني: تتداخل علاقات الإنسان مع المكان في إطار الخبرة المباشرة والإدراك الحسي، والسيطرة على أغلب التفصيلات ، والارتباط الوثيق بالمكان/ الأرض من لحظة الولادة حتى الممات، وبذلك يتجلى المكان عنصراً أساسياً في الحياة الإنسانية، يوثق من صِلات الأنا بالعالم الخارجي، والتغيرات التي طرأت على المكان في الفكر الإنساني عديدة تحول معها من مكان بدائي إلى معطى ثقافي، ومن ثم مكان جمالي فني، فهو المسرح الذي تدور فيه الأحداث وتتصارع فيه الشخصيات.[1]، فالمكان يحوي الشخصيات سواءً في الحياة أو بعد الوفاة فهو عنصرٌ مشاركٌ منذ البداية وحتى النهاية.

ويُعد المكان إحدى الجزئيات الخلفية التي تعكس وقوع الأحداث وحركة الشخصيات ونمو الصراع، اذن يمكننا القول بأن المكان هو نقطة انطلاق للكاتب وهو المكان الأساسي لبنية النص ككل وبهذا يصبح المكان عنصراً فاعلاً في الرواية و في تطورها وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه وفي علاقات بعضها ببعضها الأخر.

أنواع الأمكنة: تختلف الأماكن شكلاً وحجماً ومساحةً، منها الضيق المغلق، والمنتج المفتوح، والمرتفع والمنخفض والمتصلة، وإنها أشكالٌ من الواقع انتقلت إلى الرواية وصارت عنصراً من عناصرها، ومن بين هذه الأنواع المكان المفتوح والمغلق.

- **المكان المفتوح:**المكان المفتوح هو الذي يتردد عليه الفرد من دون قيد أو شرط مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي،أي ممارسة سلوك غير سوي يرفضه المجتمع كالسرقة والعدوانية وهو عنصر أساس يتحرك من خلاله الشخصيات الروائية الزمن فضلاً عن كونه عضيد الزمن الذي يتعامل معه الكاتب، أما أماكن الانتقال فتكون مسرحاً لحركة الأشخاص وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل الشوارع والأحياء والمحطات

[1]أنظر فاعلية الرمز في رواية " المتشائل " اميا حبيبي، مجلة الآداب واللغات، المجلد: 9، العدد:01، ص35-38، أمير فهرن كنيا(إيران/ طهران)، الطالبة فرجي فاطمة " نقلا بتصرف "

وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي.. الخ، فمن الأماكن المفتوحة نجد القرية التي تطلق العنان لدلالات مختلفة منها الشعور بالحرية والقوة والانطلاق، كذلك الوطن الذي تشعر فيه بالأمان، والاستقرار،والطمأنينة التي يحلم بالعيش فيها كل فرد من المجتمع.

• **المكان المغلق:** يمثل الفضاء المغلق غالباً الحيز الذي يحوي حدود مكانية تعزله عن العالم الخارجي ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح فقد تكون الأمكنة الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن الحياة والأماكن المغلقة المتعددة منها الأليفة والتي تعود إليها آخر النهار لترتاح من تعب وشقاء اليوم كالبيت رمز الدفء والاستقرار النفسي والجسدي والأمكنة المغلقة كالسجن وهذه الأمكنة بدورها تنقسم الى الإقامة الاختيارية كالبيت وأمكنة الإقامة الجبرية كالسجن.

6-رمزية الزمن :

إن الزمن عنصر أساسي في العمل الأدبي وخاصة الرواية، وعلاقتها به علاقة مزدوجة فهي تشكل في داخل الزمن ومن ثم يصاغ الزمن في داخلها ويقدمها عن طريق اللغة المشحونة بإشاعات فكرية وعاطفية، لتعيش الشخصية اللحظة تلوى الأخرى بنشاط وحيوية مع حركة الزمن،وإحساس الإنسان بتغير الزمن واختلافه من عنصر إلى آخر، هو المسؤول عن التغيير الذي يصيب الشكل الروائي؛ فالروائية تجسد ما يطرأ من نتيجة تأثرها بهذا الحس الزمني المضطرب وبخاصة المتغيرات الداخلية التي تحدث للإنسان، والتي اهتمت الرواية الحديثة (تيار الوعي) بإبرازها في عالمنا الحديث يصبح الزمن بالنسبة للرواية في أهمية مزدوجة فهو من ناحية بالغة لعالمه الداخلي ،حركة شخوصها وأحداثها وأسلوب بنائها ومن ناحية أخرى فإنه ذو أهمية بالغة بالنسبة لصمودها في الزمن، بقائها أو اندثارها.

يقول حبيبي في "المتشائل(استقبلتنا عُكَا ،حين دخلناها ،وقد التفت بعباءة الليل العباسية، فتذكرت صاحبتي " يُعاد " التي لم تبتسم في القطار لسوايَ؛فتسارع وجيب الفؤاد. إن عُكا هي مدرستي

الثانوية و"يعاد"هي حبي الأول، فعُكا التي صمدت للصليبيين أطول مما صمد غيرها من الحواضر ،وردت نابليون، ولم يدخلها التتار، حافظت على هيبتها بعد أن هرمت وأصبحت صورها محششةً، ومنارها مثل قنديل جحا) [1].

يرمز الليل في هذا القسم من الرواية إلى منتهى الاغتراب عند شخصية أبي النحس، وكأنه الزمن الجميل الذي تستعيدهُ الذاكرة وكما وكأنه يستخدم هذا الرمز ليصور من خلاله ذكرياته عن مدينه " عُكا " ومدى استقبالها له عند دخولها، لذلك أنه رأى هذه المدينة سبباً في إثارة ذكرياته المدرسية، ومن ثم تأتي "يُعاد" حبه الأول بحيث أن صورتها تستدعي في هذا القسم من الرواية ما قاله أبو تمام:

نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئتَ من الهَوىَ

ما الحبُّ إلاَّ للحبِيْبِ الأوَلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلفُهُ الفَتَى

وحَنِينُه أَبداً لأَوَلِ مَنْزِلٍ

إذن تبقى بصمة " يُعاد " فريدة من نوعها عنده طالما أنه تتسارع دقات قلبه عندما يلقي نظرة على بسمة "يعاد" وهكذا تسترعي انتباهه وكأن الزمن فرّق بينه وبينها وهذه العبارة تدل على معاناته.

إن الإطار الزماني والمكاني في الرواية يرتبط برؤية الكاتب وبالبعد الموقفي للرواية، ومن الملاحظ أن الكاتب يهتم اهتماماً بالمادة التاريخية، فالأحداث التاريخية بمثابة الشرايين التي تمد الرواية بالحركة والحياة، ويعرض الكاتب هذه الأحداث ضمن خطوط عريضة، غير مرتبطة في إطار الحقيقة التاريخية المطلقة ويستحضر هذا الماضي ويقصد إلى صنع نوع من المقابلة بين الماضي والحاضر ويتخذ من التاريخ وما يجري داخل هذا الإطار ليجسد من خلاله رؤيته الفنية الجديدة باعتماده على

[1] حبيبي ايميل، الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس، المتشائل، ص 26.

بعض الشخصيات التاريخية المعروفة، (فقد بدأ الإنسان الفلسطيني يشعر بضياع ماضيه بسبب النكبة التي أفقدته توازنه وثباته الاجتماعي،ورسوخه واستقراره في الأرض، لذلك تحاول الذاكرة الفلسطينية اقتناص هذا الماضي أو وحدات منه على الرغم من أننا نعيش هذه الأيام حالة تتبين فيها كل الأحداث بسبب حالة القلق المعيشة كنتيجة طبيعية للحالة السياسية التي عاشها الفلسطيني بعد النكبة. لقد أدرك الكاتب منذ اللحظة الأولى أمام حالة جديدة وواقع جديد يريد نزع ماضيه وتراثه منه فهو يستحضر الزمن الماضي ويؤكد عليه من خلال استحضاره لكم أكبر من وحدات هذا الزمن وينظر إليها على أنها لحظات تتراكم وتتشكل في هويته التي يركز عليها وتصبح المسألة عنده أكثر حِدّةً كلما شعر بمحاولة الآخر إذابة هويته)[1].

إذن يُحرك الروائي في داخلنا الزمن بأبعاده الثلاثة: الماضي، الحاضر، والمستقبل: فنقف على ماضيها كي نستمر في الأخذ بنقاط القوة منها،ونتحاشى نقاط الضعف فيها ونقيم حاضرها بُغية الانطلاق نحو المستقبل بوعيٍ ورؤيةٍ وشموليةٍ.

هكذا تحتل الماضي وجماليته منطقه كبيرة من الذاكرة تتقوى به شخصية سعيد أبي النحس، وأخيرا يواكب الزمن بسعي من أهل " عُكا " لمقاومة الصليبيين وكافة أشكال قمعهم واحتلالهم وبالتالي الحيلولة دون دخول نابليون في المدينة وعدم السماح للتتار بالولوج فيها،ترمز" عُكا " هنا إلى فلسطين الجميلة التي مزقتها مآسي وآلام الحروب الصليبية نابليون عليها وحصارها وحملة التتار. (حملة نابليون التي استطاعت أن تنزل على شواطئ فلسطين وتحتلها، حاصرت أحمد باشا في عُكا والتي أعطته شهرته بصموده أمام حملة نابليون (1798 1801) ولكن مساعدة الأسطول الإنجليزي لأحمد باشا من جهة البحر، والجيوش العثمانية من جهة البر والطاعون من جهة ثالثة، أجبر نابليون على

[1] القيومي سعيد محمد، جدلية الأنا والآخر (رواية المتشائل أنموذجا)، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد:19، العدد:1 (2011)، ص873.

الانسحاب والنكوص إلى مصر، حيث هناك استطاعت القوات المحلية المصرية بالتعاون مع الإنجليز،من إنهاء مغامرة نابليون)[1].

توحي عباءة الليل العباسية ونابليون والصليبيون والتتار وعُكا والحديث عن أيام المدرسة و"يعاد" إلى أن حبيبي يؤكد أنه من جيل يعاني المنفى وأزمة الهوية وتمزق الذاكرة وفيه نوع من الحنين والشعور بالغربة وتتمثل فيه قيم الثورة الفلسطينية ورصد التحولات الاجتماعية والسياسية وطبقا لقانون التداعي أو انطلاقا من سرد التفاصيل المعلقة يأبي النحس، ففي المجال الأول يتقهقر الكاتب بنا إلى فترات الحروب الصليبية، تاريخ عُكا... وعهود الانتداب البريطاني وقد تأخذ وقفته عند بعض هذه الأحداث فترة طويلة أو قصيرة، وفي المجال الثاني يحلل نسب البطل،فيرجعه إلى أصول موغلة في القدم ،وهذه السمة من سمات الشخصية التي تمنحه حرية الحركة في الزمان "المتشائل" حكاية تغطي فترة عشرين سنة وحربين تاريخيين هما حرب 1948 و 1967 في حياة العرب الفلسطينيين الذين ظلموا تحت حكم إسرائيل التي تلت هاتين الحربين في ما يلي هناك نظرة إلى تقنيتين زمنيتين في الرواية وهما الاسترجاع والاستباق.

7-رمزية الحيوان :

جاء ذكر الحيوان ووصفه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ،والأدب العربي القديم سواءً كان نثراً أم شعراً ،أما الحيوان في الأدب فإن أوصافه شغلت أدبنا العربي نثراً وشعراً والمطلع على تراثنا الأدبي يلاحظ عناية العلماء والأدباء الأوائل بهذا الموضوع، لاسيما وصف الحيوانات الصحراوية،فهي جزء من البيئة التي يعيشونها ومقوم من مقوماتها، فكانوا يجدون في صفات بعض الحيوانات مضربا للمثل، فأمثال العرب أكثرها تُضرب بالبهائم،فلا يكادون يذمون أو يمدحون إلا بذلك

[1] الصمادي، إسماعيل ناصر، التأريخ التاريخي مبين السبي البابلي وأرائي الصهيوني؛ التأريخ التوراتي المزيف بين إسرائيل الكنعانية وإسرائيل العبرية وإسرائيل الصهيونية، الكتاب الثالث، دار مؤسسة رسلان/ سوريا (2015)، ص136 .

لأنهم جعلوا مساكنهم بين السباع والأحناش والحشرات، فاستعملوا التمثيل بها لذلك، ومن ذلك قولهم: (خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانه للفساد) [1]

ونفهم من ذلك أن الأدب اتخذ من الحيوانات أبطالاً وشخوصاً وسرد على ألسنتهم العديد من الحكايات الأدبية البديعة وإن كانت الكتابة عن الحيوانات بالغة الندرة فهي أيضا بالغة التأثير، فمن خلالها تمكن المؤلف من أن يعبر عن المتاح وغير المتاح، لقد ذاع استخدام الرمز الحيواني في كثير من الآدب العالمية القديمة وعرفته كل الشعوب وراحت تتنازع ملكية ايداعه كل الحضارات،فنجد الرمز الحيواني قد ورد في كثير من الروايات، كما أنه جاء بقالب يتناسب مع هذا الجمهور الخاص وكانت له دوافعه وأسبابه التعليمية التربوية أحيانا وأغراض؛ كالتشويق والإمتاع وغيره أحيانا أخرى بالإضافة إلى أن الرمز الحيواني يبتعد عن الصعوبة والتعقيد والغرابة ويحتاج إلى مس خفي القدرة الذهنية لتتعرى.

[1] التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد زين، ج1، القاهرة/ مؤسسة هنداوي 2019 ، ص143 ، " نقلا من مجلة الآداب واللغات/ المجلد:9، العدد:1، ص 33 " .

الفصل الثاني:

تجليات الرمز ودلالاته في رواية لبيك حج الفقراء

المبحث الأول: تجليات الرمز في رواية لبيك :

أولاً الإطار الرمزي للرواية:

مما لا ريب فيه أن أي كاتب عندما يؤلف روايته يكون قد وضع نصب عينيه مقاصد خاصه يريد تحقيقها وذلك من خلال أحداث الرواية، شخصياتها، مكانها ،وأشيائها.. إلا أننا لا ننفي أهداف أخرى قد تكمن في وعي الكاتب، قد تتحقق في مقاصد أخرى (العنوان ،والاستهلال) تحيط بالنص، والتي يسعى الكاتب من خلالها إلى جعلها رمزا خاصا ليخلق علاقة حميمية بينها وبين بناء النص، وهو ما لم يغفل عنه "مالك بن نبي" في كتابته لرواية "لبيك حج الفقراء" التي سندرس رمزية عتباتها النصية من خلال بعض النماذج.

- **رمزية العنوان:** يعد العنوان أيقونة لغوية تعلو النص، أو عتبة عامة من عتباته؛ لأنه المحور الأساسي الذي يحدد هوية النص، وتدور حوله الدلالات وتتعالق به، وهو بمكانة الرأس من الجسد، والعنوان في أيّ نص لا يأتي مجانيا أو اعتباطيا وإنما هناك علاقة وطيدة مؤسسة بين العنوان ودواله، وبين النص وعنوانه، حتى أننا يمكن أن نسمي هذه العلاقة بالمنطقية، وأي علاقة تأخذ أشكالاً وتجليات لا حصر لها، لأن لعبة العنوان هي لعبة اللغة، وعلى الرغم من أن العنوان هو تجسيد لأعلى اقتصاد لغوي ممكن؛ لأنه علامة دالة تجمل المدارات الدلالية والأبعاد الرمزية التي تحفل بها بنية النصوص، هذا ما يفسر لنا اجتهاد الكُتَّاب في "وصل مدوناتهم بعناوين يتفننون في اختيارها كما يتفننون في تنميقها بالخط والصورة المصاحبة وذلك لعلمهم بالأهمية التي يحظى بها العنوان"[1]؛ يفهم من ذلك أن العنوان يمثل بطاقة التعريف النص وواجهته الإشهارية المضيئة، والمميزة له عن بقية النصوص والحافظ له من فقدان هويته والذوبان داخل النصوص الأخرى.

[1] القادر رحيم: العنوان في النص الإبداعي أهميته وأنواعه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر ،العدد 2_3، 2008،صفحة 11.

يمثل عنوان الرواية التي نحن قيد الانشغال عليها فضاءً دلالياً ،إذ يعج بالكثير من الدلالات والإيحاءات.

- ✓ **قراءة دلالية:**

تُعتبر المقدسات الإسلامية أمكنة دينية في مفهومها العام ،لكن المتتبع للواقع الإسلامي يجد فيها من الروحانية ما يجعل الفرد متعلق بها كل التعلق باعتبارها أمكنة قدسها اللّه عزوجل وأعطى لها من الحرمة ما يجعل القلوب تنفطر إليها في كل زمان ومكان وعندما نتكلم عن المقدسات الإسلامية فنحن نخص بالذكر هنا الحرمين الشريفين (مكة والمدينة المنورة) و (القدس الشريف) باعتباره أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، محاولين بذلك التطرق إلى كيفية توظيف هذين المكانين في المتن الحكائي الجزائري المعاصر معتمدين في هذا العنصر على "رواية لبيك حج الفقراء" "مالك بن نبي".

يعتبر مالك بن نبي من أعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين وأحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية والمتتبع لأعماله الكبرى يجد من ضمنها رواية يتيمة هي " لبيك حج الفقراء "، واذا ما نظرنا إلى طبيعة الرواية نجدها من الحجم الصغير وقد " جاءت حسب مصدر الرواية نداء البداية والنهاية معاً وقد استخلصها ابن نبي من روح عفوية الشعب الجزائري والفقراء، إذ يرى فيهم المنهل الصافي لماء الحياة الحضارية و الإنسانية لذا فـ "لبيك" نموذج الفطرة كما قصها لنا في شهادته و كما هي نموذج روح حجاج إفريقيا حيث تقودهم رجالاً مشاةً إلى مكة في هجير الصحراء وفي اشتياق واحد ومع دمع سكان المدن إلى حج العام القادم " [1].

وتروي لنا رواية "لبيك حج الفقراء" قصة الشاب "إبراهيم الفحام" وتحوله من سكير منبوذ في المجتمع إلى رجل صالح يقصد بيت الله للحج، يهدف الكاتب من خلالها إلى إبراز إمكانية تغير

[1] عمر مسقاوي، 2017 ،صفحة 13.

المجتمع بتغير فكر أفراده وأن هذه الأمة كُتب لها الاجتماع بالرغم من كل ما يحيط بها من أسباب التفرقة فالطريق إلى الله هو الجامعُ.

وما لبيك إلا دليل على توحد الأمة في يوم من الأيام " فالظاهرة القرآنية هي مطلع الأفق و" لبيك " هي زاد المسار، وتبقى شروط النهضة خطة البناء التربوي إلى مرتقى المسيرة في وحدة الثقافة والاتجاه(...)"[1] ومفهوم ذلك أن الحج هو تلك الشعيرة التي مهما زاغ المؤمن على سواء السبيل فإن إخلاصه لا بد ان يعيده إلى الهداية وان طال زيغه.

ثانيا :رمزية الفضاءات المقدسة والمدنسة

ماهية المقدس والمدنس:

إن مسألة المقدس والمدنس تطرح أكثر من إشكالية، وهذا راجع إلى طبيعتها التي يلفها الغموض إذ جعلتهما يدخلان حيز السهل الممتنع، سهلين في رصد ظواهرهما وممتنعين من حيث الماهية، فالعقل قادر على إدراك كُنَيْهِما (الجوهر أو المعنى) أما اللغة فتظل عاجزة أو قاصرة عن التعبير عنهما وفي ظل المحاولات التي استقريناها يلقى المتتبع للظاهرة اختلافا وتعددا في الآراء والمذاهب لتحديد مفهومهما، ويتفق الباحثون على أن كل من يخوض غمار البحث فيهما يجد صعوبة في بحثه، لأن دراستهما تستدعي أولا العودة والبحث عن الجذور التاريخية للمقدسات والمدنسات ورصد أصولها الإنسانية.

كما أن الطبيعة الفضفاضة والإنسانة للمقدس والمدنس جعلت الباحثين عاجزين عن إيراد تعريف جامع مانع لهما ،إلا أننا يمكن أن نحدد مفهومين للمصطلحين عن طريق علاقة التعارض

[1] عمر مسقاوي،2017 ،صفحة، 14.

بدليل قول "يوسف شلحت" (يوجد هناك فرق بين المقدس والمدنس من خلال ماهيتهما الأولية أي من الناحية المفهومية)[1] .

وهذا ما ارتكز عليه مارسيا إيليا "Marcia Eliade" عندما قال: "التعارض بين المقدس والمدنس في الأغلب بين الحقيقي واللاحقيقي أو الحقيقي والمدنس "[2].

I. الفضاءات المقدسة:

1) مكة: مكة المكرمة مقصد الملايين من الحجاج والمعتمرين والزائرين سنويا، بما تحظى به من منزلة وأهمية روحانية في أفئدة مليارات المسلمين في شتى أرجاء الأرض، فهي مهبط الوحي، وتضم أول بيت وُضع للناس – الكعبة المشرفة وبيت الله الحرام – وإليهما تتجه أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وصلواتهم خمسة مرات يومياً، وقد شرفها الله تعالى وأقسم بها ،وأعطاها ما لم تحظى به اي مدينه اخرى حول العالم، وانطلاقا من هذه المنزلة الروحانية تولدت لدى زائري مكة المكرمة صورة ذهنية وبصرية مميزة وخاصة جداً، ومع تطور وسائل الاتصال السمعي البصري ونقل الشعائر الدينية يوميا على الهواء مباشره تولد ونمى أيضا لدى الملايين من المسلمين في أنحاء العالم صورة ذهنية لمكة المكرمة، وهذا بالضبط ما شعر به إبراهيم فجأة عندما قال: "أجل لقد حلمت بالكعبة..."[3] ، لقد رأى نفسه في لباس الإحرام،اللباس الذي يرتديه الحاج خلال أدائه لتلك المناسك، وشيئا فشيئاً بدأ حلمه يتضح بعدما أراد أن يجد تفسيراً لهذا الحلم فلا يوجد مسلم لا يؤمن بتأويل عملي لرُؤآه.

---

[1] مرسيا إلياء: المقدس والمدنس،ترجمة ،عبد الهادي عباس،د.دمشق للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق سوريا، الطبعة الأولى،1988، صفحة 17.

[2] يوسف شلحت: بُنى المقدس والمدنس عند العرب قبل الإسلام وبعده،تح: خليل أحمد خليل،دار الطبعة، بيروت،لبنان،ط،2004،صفحة28.

[3] بن نبي، رواية "لبيك حج الفقراء"،ت .زيدان خولف، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر . صفحة 38.

إن مكة في منظور "ابن نبي" ليست مكانا تقام فيه الصلوات.. فحسب بل يتعداها إلى كونه مكاناً روحانياً،مكاناً يُجدد فيه المؤمن نيته في الإسلام فيطمئن قلبه ويرجع منه كما قال عليه الصلاة والسلام "كيوم ولدته أمه " وما رمزية مكة التي أوردها ابن نبي في روايته إلا مدعاة لذلك.

تحتوي هذه الرمزية خصائص ومميزات مبجلة أكسبتها هذه الصفة النبيلة (القداسة) ما جعلت منها:

- **رمزية الهوية التاريخية:** في كتاب التلخيص ما بعد الطبيعة يقول فيلسوفنا الكبير ابن رشد (إن الهوية تقال بالترادف للمعنى الذي يُطلق عليه اسم الوجود وهي مشتقة من "الهو" كما تُشتق الإنسانية من الإنسان)[1]

أما الهوية فلغوياً هي مأخوذة من (هُوَ.. هُوَ) بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته لذا نجد أن الجرجاني في كتابه "الذائع الصيت" (التعريفات) يقول عنها: " بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب".

اذاً فمكة المكرمة رمز الهوية التاريخية الإسلامية ومهبط الوحي الإلهي ومن ذلك كله رُمز لها في رواية مالك بن نبي على أنها هوية تاريخية متجذرة في نفس كل مسلم.

- **رمز الطهارة:** لا يتوقف مالك بن نبي عن صفة الهوية التاريخية فقط؛ بل يضيف إلى صفاتها القدسية صفة الطهارة، إذ تعتبر هذه الصفة لصيقة قدسية هذا المكان وقد عمد مالك بن نبي إلى إيرادها في روايته نتيجة التحول الروحي والجسدي الذي حصل لإبراهيم بطل الرواية وقد قال

[1] أ.شهيب عادل، الثقافة والهوية_ إشكالية المفاهيم والعلاقة، جامعة جيجل/ الجزائر.

إبراهيم في ذلك لعمه محمد (لن أعود إلى ما كنت عليه يا عمي محمد)[1] ردَّ عليه (يا إبراهيم هذه يمين سكير) لكن إبراهيم ردَّ عليه بحزم ابداً هذه المرة هي يمين حاج)[2].

دلَّ هذا الحوار على أن إبراهيم قد تخلص من دَنَس السُكر إلى طهارة النفس والبدن.

- **رمزية العقيدة :** مكة المكرمة رمز من رموز العقيدة الصحيحة التي عمد مالك بن نبي إلى إبرازها في روايته هذه، إذ لا تكتمل عقيدة المؤمن إلا في إيمانه بقدسية هذا البيت العتيق.
- **رمزية القبلة:** تتعدى هذه الرمزية في كون أن المسلمين يولون وجوههم شطرها إلى كونها مرجع قدسي تهوى إليه أفئدة الناس استجابة لنداء الفطرة والدين ونداء المجتمع وعاداته وتقاليده .

2) **المسجد:** لا يختلف اثنان على قدسية المسجد وهيبته التي يبسطها في قلوب المؤمنين، وقد وصف الله المسجد في موطن المدح والإطراء حين أتبع سبحانه نوره بذكر بيوت الله وكأنه سبحانه ينبهنا إلى أن ذلك النور وتلك السكينة هي جزء من نوره – جلى وعلى – وأن من أراد نور الله فعليه بالمسجد وهذا هو المعنى الإيمانيُّ للمسجد.

يقول تعالى (.. في بيوت أذن الله ان تُرفع ويُذكر فيها اسمه)[3] واعتبر سبحانه من منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه مرتكبا لأكبر أنواع الظلم وتوعده بالخوف والخِزي والعذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)[4] هذا هو سمو المسجد ونوره

[1] مالك بن نبي، رواية "لبيك حج الفقراء "صفحة 57.
[2] المرجع نفسه،صفحة58.
[3] سورة النور الاية 36.
[4] سورة البقرة الآية 114.

وطهارته الذي ذكره الرافعي – رحمه الله_ – : " فالمسجد هو في حقيقته موضع الفكرة الوحيدة الظاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع، هو فكر واحد لكل الرؤوس ومن ثم فهو حل واحد لكل المشاكل"

وقد أوصى عليه الصلاة والسلام بارتياد المساجد في أحاديث صحيحة عدّه، لكن هذا كله لا ينفي وجود دلالات أخرى تخفيها لفظه المسجد ومالك بن نبي في روايته هذه ضمناً:

- **رمز الإسلام** :المسجد و الإسلام لفظتان تدل كل واحدة عن الأخرى، فالمسجد رمز الإسلام والإسلام رمز المسجد ، ومالك بن نبي لم يوظفهما في روايته اعتباطاً فقد جاءتا بعدما كان إبراهيم سكيراً مرتاداً للحانات ومجالس اللهو فحلت مكان ذلك هذه الالفاظ القدسية في دلالةٍ على التحول الذي حصل لبطل الرواية.

- **رمز الطمأنينة:** تعد الطمأنينة رمز من رموز المسجد فالقلب لا يسكن ولا يطمئن إلا فيه، فهو الفاعل الأول لحصول هذا الشعور بل تعدَّى ذلك في روايتنا عندما قال إبراهيم لعمه: (آاهٍ! كم أتمنى أن أموت هناك)[1] وهو يقصد بذلك مسجد الله الحرام .

- **رمز العبادة:** إن العبادة لا تكون إلا في مكان مخصص لها وفي الإسلام ما المسجد الا مكانُ ذلك، لكن رمزيَتَها تعدَّت ذلك هنا من كونها شَعيرة إلى كونها رمزا للانضباط الذي أصبح يعيشه بطل الرواية، وفي قول إبراهيم (أجل إن الله قوي قدير يهدي إلى طريقه من يشاء)[2] دليل على اتخاذه قرار الالتزام بهذه العبادة.

3) **المدينة المنورة:** ترتاح مسامعك وفؤادك وتهدأ جوارحك في حضرة هذا الفضاء القدسي بأتم ما تحمله الكلمة من معنى كيف لا وفي هذا الفضاء يوجد أطهر قبر، قبرُ رسول الله الكريم، وقد

[1] مالك بن نبي "لبيك حج الفقراء" صفحة 30.

[2] المرجع نفسه ص 58.

أعطى الراوي رمزية فائقة بذلك، إذ أنها تعتبر الانطلاق الأول لشعاع الثقافة الإسلامية، ألم يكن المسجد النبوي – ولا زال – جامعة تخرج فيها أئمة أخيار نتَّبع سننهم إلى الآن، إذا فهو الأحق بأن يمثل مضمون الثقافة الإسلامية.

وقد كان لبطل روايتنا زيارة لهذه المدينة وتركت فيه بالغ الأثر ومن جملة الرموز الدالة على ذلك:

- **قبر الرسول الكريم:** لقد كان لإبراهيم وقفة كريمة عند قبر الرسول الكريم اهتز لهذه الوقفة الحجاج الذين كانوا أمامه يشاهدون هذا المشهد،وقد أصيبوا بذهولٍ لمنظر الرجل الذي وصلت كلماته المؤلمة إلى عنان السماء.

كان يقول: (أرأيت يا رسول الله، لقد تركت خيمتي وأولادي كي آتي إليك لقد قطعت سبع مائة كيلومتر مشياً على الأقدام ولكني لا أستطيع أن أذهب أبعد من هذا يا رسول الله)[1]

لم يكن يبكي (كان يشبه بدو الجنوب أسمر البشرة، ممشوق القوام ومفتول العضلات تحيط بوجهه الجميل والممتلئ رجولة لحية سوداء)[2]، لقد أبدع بن نبي في وصف هذا المنظر إبداعاً بلغ تعديّة رمزية البكاء إلى رمزية مدى صدق إبراهيم في توبته وإخلاصه في كل شطرٍ من حجه.

- **رمزية الهجرة:** لهذه اللفظة رمزية لا تقل دلالة عن غيرها من الألفاظ الواردة في الرواية، فالراوي قصد منها هجرة القلب والروح قبل الجسد أي أن إبراهيم قد هجر ما كان عليه من انحراف إلى ما أصبح عليه من هداية.

[1] مالك بن نبي، رواية لبيك حج الفقراء صفحة 89.

[2] المرجع نفسه صفحة 90.

➢ **رمزية الجهاد:** ترمز المدينة المنورة إلى دلالات عدة من بينها الجهاد في سبيل الله، الذي قد سُنَّ بهجرة النبي الأكرم إلى المدينة المنورة وتحمل هذه اللفظة رمزية جهاد النفس الذي أصبح يعيشه بطل الرواية، حيث أن الجهاد بالنفس لا يقل أهمية عن الجهاد بالسنان، إذ أنهم سواء من حيث التزود بالصبر والتحمل اللذان لم يغيبا في شخصية إبراهيم الجديدة.

II. الفضاءات المدنسة:

1) **الحانة:** هي ذلك المكان المخصص لبيع وشرب المشروبات الكحولية، لكنها في رواية مالك بن نبي تجاوزت هذه الدلالة من كونها مكان اللهو إلى رمزية تحمل تلك الحالة النفسية الهشة والمنحلة التي كان يعيشها إبراهيم ،ودلَّ على ذلك في قول الراوي حينما أَسْهَبَ ابراهيم في خطابه (لم يفهم صاحبه أي شيء من هذه الخطبة وأسرَّ على أن يجره معه الى الحانة)[1]

وانبثقت من هذا الفضاء المدنس رمزيات عدّة منها:

➢ **رمزية السُكر:** هي رمزية دلالة مدنسة أوردها الراوي للدلالة على الحالة المتدهورة التي كان يعيشها بطل الرواية في قوله : (عندما يحكم الوسط الاجتماعي على شخص ما فالأطفال هم الذين يُصدرون الحكم بشراسة فينعتون المجنون بالمجنون والسكير بالسكير، فهم القضاة المدافعون عن المصالح والأعراف والتقاليد)[2] وهذا مما يدل على مدى دناسة هذه العادة، فرمزية لفظة سُكر رمزية يُقصد منها شدة التقهقر والدناسة التي كان فيها بطل الرواية.

➢ **رمزية القمار:** كان إبراهيم مدمناً أشد الإدمان على القمار الذي رمزت له لفظة الحانة التي كان كثير التردد عليها قبل أن تتغير شخصيته من المدنسة إلى المقدسة.

[1] المرجع نفسه صفحة 38.

[2] مالك بن نبي، رواية لبيك حج الفقراء صفحة 50

➢ **رمزية الغفلة:** هذه الأخيرة لها بالغ الأهمية في تحول شخصية البطل بعد أن أدركها، فقد قال الراوي فيه قبل أن يدركها (لكن إبراهيم واصل بصورة مستمرة تُدَنِيه أكثر فأكثر نحو القاع، فقد بدد رأس المال..)[1](18) وفي ذلك تجلٍ للدلالة على مدى القاع المدنس الذي وصل إليه إبراهيم.

2) **القزانة:** وردت في الرواية بلفظتها العامية والمقصود منها تلك المرأة التي تدعي أنها قارئة للحظ وقد ورد ذكرها في الرواية في قول الراوي (كانت هادئة لأن القزانة أنبأتها في الصباح أن معجزة ستقع في حياتها التي تتألم منها كثيرا وأن سبب معاناتها سيزول.)[2]

ومن رمزية ذلك:

➢ **رمزية الشرك:** وفي ذلك دلالة لسوء المعتقدات التي كانت سائدة آنذاك لدى عامة الناس البسطاء، فلفظة قارئة الحظ ولفظة الشرك وجهان لعملة واحدة، والمقصود منه اتخاذ الشريك والند بأن يُجعل أحدٌ شريكا لأحد آخر؛ إما من الناس أو غيرهم، وفي قول الراوي ".. كانت مع " القزانات " تُجدد أملها" [3]، وقد قصد الراوي من هذا اللفظ رمزية الجهل والتخلف الذي عايشه المحيط الذي كان فيه إبراهيم .

III. رمزية تسمية الشخصيات:

تعتبر الشخصية من بين أهم مقومات العمل الروائي، " والراوي يلجأ إلى انتخاب شخصياته وفق منظومة معينة تتلاءم وطبيعة الحيّز –البيئة– الذي تدور فيه أحداث الرواية، وهذه المنظومة هي عبارة

[1] المرجع نفسه صفحة 49.
[2] المرجع نفسه صفحة 47.
[3] المرجع نفسه صفحة 47

عن لَبِنَات من العبارات التي تصور أبعاد الشخصية " [1]، وتنقل وجهة نظر المؤلف على لسانها، " إذ تُبنى شأنها شأن العناصر السردية الأخرى من جمل لغوية مترابطة تترشح عنها مجموعة أوصاف تمثل ملامحها وأفعالها وأفكارها لتكتسب خصوصيتها عبر تلك الأوصاف التي تنمو وتتطور شيئًا فشيئًا " [2].

بما أن الشخصية كما أوردناها في المفهوم السابق تُعَّد عنصراً أساسيا يُجسد فحوى الرواية، قمنا بتتبع هذا المكون الأساسي في كتاب رواية "لبيك حج الفقراء" حتى بدت لنا الشخصيات التي رسمها لنا "مالك بن نبي" شخصيات حيَّة.

لم تكن التسميات المطلقة على شخصيات الرواية مصادفة بل حتى يبدي لنا الراوي أبوابها، ولكي نؤكد على صحة كلامنا هنا، وجب أن نستند بشخصيات الرواية التي جسَّد فيها "ابن مالك " ألقابا كانت عنواناً لنواياها وتصرفاتها .

إذا فالشخصية الروائية هي التي تشكل ملامح الرواية وتشكل من خلال تفاعلها داخل الرواية الأحداث والمشكلات، ولذا كان الروائيون ينتقون شخصياتهم بدقة؛ حيث تكون الشخصية المناسبة في مكانها المناسب.

[1] ينظر:شريف عكازي: طبيعة التلازم بين الشخصية الروائية والحيز المكاني_ مجلة منشورات مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب ،جامعة قاصدي مرباح/ ورقلة، العدد الخامس ،ديسمبر 2013، صفحة 09.

[2] ينظر حسن سالم هندي اسماعيل: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ،دراسة في البنية السردية، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع عمان ،الطبعة الأولى، 2014، صفحة 54.

1. الشخصية الرئيسية:

"هي الشخصية التي يختارها الكاتب أو القاص لتقوم بتمثيل الدور الذي أراد تصويره، وتقوم بالتعبير عن الأفكار والأحاسيس التي قصدها فهي الشخصية التي تتمحور عليها الأحداث، وتمثل الفكرة الأساسية التي تسبح حولها الحوادث، وهي عبارة عن موقف بطولي فردي "[1]

إذا الشخصية الرئيسية في أي عمل أدبي سردي أو قصصي تجسد المحور الأساسي والنقطة المركزية، وأما الشخصيات الباقية فتُكَوِن عوامل مساعدة لها

ومن هذا التعريف تتجلى لنا الشخصية الرئيسية في شخصية:

✓ **إبراهيم البطل:** اسم علم أعجمي من بلاد الرافدين؛ أي ليس عربيا، ويعود أصله في اللغة العربية إلى اللغة العبرية ومعناه أبو الجمهور أي الجملة والاسم الأصلي "أبرام" أي الأب الرفيع المُقام والمُكْرَم [2]

ولقد ذُكر اسم إبراهيم في القرآن الكريم مراتٍ عديدة ما يقارب تسعاً وستين مرة في خمسة وعشرين سورة.

وروده في رواية " مالك بن نبي" كشخصية رئيسية يحمل دلالات عده تجلت من خلال أحداث الرواية ومن أبرز هذه التجليات :

- أن شخصية إبراهيم في الرواية تميزت بأنه اجتماعي ولديه القدرة على تكوين العلاقات الاجتماعية، ومثالٌ على ذلك الحوارات العديدة التي كان يجريها مع شخصيات عديدة ذُكرت في

[1] رحال،إيمان كراري، مذكرة بعنوان: دراسة بنية الشخصية في رواية ماجدولين2020-2021، جامعة البليدة " لونيسي علي "، صفحة 13_18، بتصرف.

[2]معنى إسم إبراهيم في قاموس معنى الأسماء
https://www.almaany.com

الرواية " كان إبراهيم وهو يتحدث هكذا يسأل الحجاج الذين كانوا يستمعون إليه ، في حين كان الطفل يُمعن في وجهه ويبتسم " [1]

كان لإبراهيم حوارات كثيره في الرواية مع عمه وزوجته والحجاج.. وفي ذلك رمزية على انفتاحه على الغير.

- أن اختيار شخصية إبراهيم وتوظيفها جاء لكون هذا الاسم يحمل بعدا دينياً، كون أن سيدنا إبراهيم كان وولده إسماعيل يرفعان القواعد من البيت الحرام ويعيدان بنائه، ومنه ارتبط اسم إبراهيم بالبيت الحرام، وهذا مما جعل الراوي يوظفه كشخصية هَاجَرَت من مدينة عنابة إلى مكة المكرمة لإقامة فريضة الحج، تَيمُناً بهجرة سيدنا إبراهيم من بلاد الشام إلى أرض الحجاز لإعادة بناء الكعبة.

1) إبراهيم (الفحام ،السّكير، بوقرعة): وُصفت هذه الشخصية – قبل تحولها – بهذه الألقاب في رمزية من الراوي على التدني الذي كانت عليه، فإبراهيم (البطل) كان فحاما مُعدَماً سكّيراً، ينعته أطفال حيِّه بِـ بوقرعة"، يقول الراوي في ذلك " (..)هذا الوضع المخزي الذي يعيره صبيان أزقة بونا بلقب "بوقرعة" (صاحب قارورة النبيذ) " [2]، هذه التسمية كان يلقى لها إبراهيم صدى في نفسه فهي قاسية وتدل على واقعه في الآن نفسه، غير أنه ومع الوقت تلاشت فيه هذه المجابهة وصار غير مبالٍ بسخرية الأطفال تلاشٍ فيه تمهيد لتحول شخصيته.

2) **إبراهيم (الحاج ، سي إبراهيم):** " لابد أن والداك سعيدان الآن يا (سي) إبراهيم " [3] كانت زوجة العم محمد فاطمة هي أول من أضافت له هذه الرمزية (سي) لما تحمله من دلالة على رفعة ومكانة صاحبها، وقد بلغت مبلغها في نفسية ابراهيم فهو يعرف حق المعرفة أنها ليست مجرد حرفين

[1] مالك بن نبي، رواية لبيك حج الفقراء، صفحة 96.
[2] المرجع نفسه، صفحة 68.
[3] مالك بن نبي، رواية "لبيك حج الفقراء"، صفحة 68.

فقط بل هي في بعض الوسط الاجتماعي الجزائري رمز الشرف والطهارة، لذلك ردَّ عليها وقد ملأته كلمة (سي) التي استعملتها قبل اسمه بالرضا والسرور،وقد وُفق الراوي كثيرا في توظيفه لهاته الرمزية.

إذاً فشخصية إبراهيم تمثل الجيل الذي احتك وعايش المجتمع الأوروبي في الجزائر، إذ أن كل ما تعلمه منذ الصغر إن كان غائصاً في أعماقه فإن ما يطفو على السطح لا يتناسب مع أحاسيسه العميقة، إنه الفراغ الذي يعانيه كل امرئ غير مقتنع بعقيدته ومقوماته الأخلاقية لكنه استدرك الأمر وأدى فريضة الحج.

2. **الشخصية الثانوية:** "هي التي تقوم بدور العامل المساعد لربط الأحداث فتعمل على إكمال الرواية، كما تقوم بتسليط الضوء على الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية و تعمل على تعديل سلوكها أو تتبعها وتدور في نطاقها فتلقي الضوء عليها وتكشف أبعادها المجهولة أو غير الواضحة "[1]

1) **العم محمد (صديق الأسرة ، في منزلة الأب):** تكررت هذه الشخصية في أحداث الرواية وجاءت مرافقة دوما لشخصية البطل، فكانت الناصحة والموجهة لسلوكيات إبراهيم وكان اختيار تسمية محمد لهذه الشخصية من قِبل الراوي تماشيا مع ما حملته هذه الشخصية من صفات محمد هو اسمٌ عربيٌ مذكر، وهو صيغة مبالغة لفعل الحمد، كما يعتبر اسماً إسلامياً يعني محمود الخصال، المثنى عليه المشكور المرضي الأفعال، بما أن لكل امرئ نصيب من اسمه، فقد تحلت شخصية محمد في رواية مالك بن نبي بهذه السمات ومن الرمزيات التي حملها هذا الاسم في روايتنا أنها جاءت رمز للهدوء والحنان عن الأهل والأصحاب، وتجلت هذه الرمزية من خلال الحوارات التي دارت بينها وبين الشخصيات الأخرى في الرواية، ونلمح هذه الشخصية الهادئة الناصحة الحنونة "عندما تدخل العم محمد ليضع حداً لفضائح إبراهيم وعربداته، وكان تدخله هذا احتراما لجيرانه الشرفاء(..) إن العم محمد

[1] سهام رحالي، إيمان كراري، دراسة بنية الشخصية في رواية ماجدولين صفحة 16_ 18 بتصرف.

كان يفكر في الوقت نفسه بإيوائه وأن يفتح له بقالةً بميزانية صغيرة على أمل أن تنقذه من هذا الوحل السيء الذي غاص فيه "[1]

إذا فرمزية اسم محمد جاءت تماشياً مع ما حملته هذه الشخصية من طيبة وحنان على الأهل والأصحاب.

2) **شخصية زهرة (زوجة البطل):** اسم زهرة من الأسماء المؤنثة العربية الخفيفة التي تبعث البهجة في النفس، وقد ورد في القرآن هذا الاسم في قوله تعالى: « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » [2]

ولا شك في أن توظيف الراوي لهذا الاسم في شخصية زوجة البطل لم يكن محض صدفة، فقد كانت زوجته حقاً تبعث البهجة في النفس، وقد طلّق إبراهيم زهرة بعد الذي حصل بينهما، غير أن هذه الأخيرة " رفضت أن تتزوج مرة أخرى إكراماً لذكرى حمويها اللَّذَيْن أوصياها بابنها وهما على فراش الموت، تشتغل بجد و تكسب قوتها بشرف، خياطة للعائلات البرجوازية، كما تتابع عن طريق العم محمد حالة زوجها السابق وسوء تدبره لأمره " [3]، إذاً فقد حملت رمزية اسم زهرة دلالات جاءت تماشيا مع الحالة التي أسردها الكاتب في قصة إبراهيم.

3) **العمة فاطمة: (زوجة العم محمد):** لا تقل رمزية هذه الشخصية من طيبة عن الشخصية السابقة، العمة فاطمة رمز للأم الحنون التي فقدها إبراهيم البطل، فقد كان لقرينة (سي) التي قرنتها مع اسم ابراهيم لأول مرة بَالِغَ الأثر في نفسية البطل، وكانت إحدى أهم عوامل تحول شخصيته من

[1] مالك بن نبي رواية "لبيك حج الفقراء" صفحة 49

[2] سورة طه الآية 131.

[3] مالك بن نبي ،"لبيك حج الفقراء" صفحة 71.

الأسوء (السِّكير) إلى الأحسن (الحاج)، راحت تبادله العمة فاطمة ابتسامة وهي متأثرة ومُدركة للحظات المثيرة للشُجون التي يعيشها الحاج .

4) **الأطفال:** لا شك أن الأطفال يرمزون إلى البراءة والعفوية وصدق الحديث، وقد جاء ذكر الأطفال في روايتنا حاملا هذه الدلالة والرمزية بالضبط، فقد كان أطفال حيِّ إبراهيم ينعتونه بـ" السكير " نظرا لكثرة ما يرونه عليه من سُكر وبـ " بوقرعة " وهي قارورة الخمر التي كان يحملها إبراهيم معه، لكن إبراهيم سرعان ما أصبحت لا تزعجه هذه النداءات بعدما كانت تأخذ منه مأخذها، لأنه أدرك أنهم مجرد أطفال، يقول الراوي في ذلك: " في أول الأمر كان يجد في نفسه قوة ليسخط بطريقته على إهانة هؤلاء الصبية ووقاحتهم، إذ كان يرد عليهم ببعض البذاءات أو بعض التهديدات، ولكن منذ وقت طويل تلاشت فيه هذه المجابهة، وصار غير مبالٍ لسخرية الأطفال " [1] ، ببساطة الأطفال هم الذين يصدرون الحكم بشراسة فينعتون المجنون بالمجنون والسِّكير بالسِّكير.. في عفوية مطلقة منهم في ذلك!.

IV. دراسة رمزية الأشياء:

1) **المسبحة (السبحة):** ارتبطت السبحة أو المسبحة في مجتمعاتنا الإسلامية بمواسم دينية معينة؛ حيث تُقدَم كهدايا خاصة في مواسم الحج أو العمرة، في شهر رمضان يتم استخدامها على نطاق واسع كرمزية للتدين، وقد ورد اسمها في روايتنا عندما وصف الراوي العم محمد الشيخ ذو اللحية البيضاء فقال : " كان شيخا ذو لحية بيضاء، وحول عنقه سبحة مثل هؤلاء الشيوخ الذين نجدهم على درج مدخل الجامع الباري ينتظرون نداء المؤذن"[2] ، إذا فالمسبحة رمز التدين وخصوصا الدين الإسلامي لذا عمد الراوي إلى ذكرها كرمز للهدوء والطمأنينة، يقول الراوي في ذلك: " فجأة تذكر

[1] مالك بن نبي، رواية "لبيك حج الفقراء" صفحة 50.

[2] المرجع نفسه صفحة 33

المسبحة التي حول عنقه فتلمسها لتأخذ بذكراه إلى الماضي، لكن هذه المرة إلى ماضٍ هادئ وكأنه يوم طبيعي " [1] حملت رمزية المسبحة في هذه الحالة بالذات ذكرى والدة إبراهيم وزوجته حيث حافظت زهرة زوجته وحرصت عليها لترسلها له فور علمها برحيله إلى الحج.

2) **رمزية الحذاء القماشي:** لا شك من أنَّ إبراهيم البطل قد كان يتخبط في قاع المساوئ والمضرات، لدرجة أنه كان رثَّ الثياب لا يستحم كثيرا، ولا يغير ثيابه حتى النوم أحيانا، وقد اختصر الراوي ذلك كله عندما ذكر حذاءه القماشي؛ في رمزية منه على سوء حاله فقال: " انتابه إحساسٌ بالاختناق جعله يتعدَّلُ جالسا متكئا على ذراعيه، فوقع نظره على رجليه الممدودتين والمنتعلتين حذاؤه القماشي الذي لم ينزعه منذ البارحة، حين تهاوى على فراشه أحسَّ إبراهيم بخجل مضاعف من فردتي حذائه .. حذاؤه الذي لم يكن يلبسه مثله سواه (أولاد الحرام)، مثلما يُطلق على السَكرة في الجزائر "[2]، نفهم من هذا أن الحذاء القماش كان لا ينتعله إلا أشخاص في منتهى النذالة وهم قُطاع الطرق لكي يفاجئوا غيرهم بدون إصدار صوت أو للفرار بسرعة، وقد وُفق الراوي في هذه الرمزية أيما توفيق حينما وصف حالة إبراهيم بهذه الكيفية قبل أن يحُجَّ.

3) **رمزية القفة:** هي تراث جزائري متوارث وأصالة ومفخرة للمجتمع الجزائري، بالإضافة إلى كونها وسيلة للتسوق وحمل المشتريات، فقد كان لها دور إبان الاستعمار الفرنسي في نقل الأسلحة والأدوية للمجاهدين، وقد ذكرها مالك بن نبي في روايته "لبيك حج الفقراء " في رمزية حملت تعبيراً عن لُحمة المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الذي كان يعيش فيه بطل روايتنا إبراهيم على وجه الخصوص، فقد بعثت له بها نساء الجيران بعدما علمنّ أنه سينطلق في رحلة حجه، يقول الراوي في

[1] مالك بن نبي، رواية "لبيك حج الفقراء ، صفحة 80.

[2] المرجع نفسه، صفحة 43 .

ذلك: " فتدخلت العمة فاطمة مُعترضة واقتربت منه وهي تحمل شيئا في يدها قائلة له.. لقد أصر كل الجيران على أن يهدوا لك هذه القفة، وهي تمد له بيدها "[1]، وبالفعل قَبِلَ إبراهيم هذه القفة.

لقد وظَّف الراوي هذه الرمزية كدليل على تماسك المجتمع الجزائري وتمسكه بتقاليده وموروثه، فوُفقَ جداً في ذلك.

4) **رمزية لباس الإحرام:** هو ثوب من قماش يُلَف على وسط الحاج و يستر به ما بين سرته إلى ما دون ركبتيه، والرداء ثوب يُستر به ما فوق سرته إلى كتفيه لكنه حمل في روايتنا ما يفوق هذا التعريف، فتحول من ثوب إحرام إلى ثوبٍ يحمل رمزية الطهارة والتخلي عن الدناسة، وقد فرح إبراهيم بذلك اشد الفرح وهو يتجه إلى أحد باعة القماش ليبتاع منه هذا اللباس الطاهر، يقول الراوي في ذلك: " ردَّ الشيخ على إبراهيم الذي ابتعد بضع خطوات؛ لا تنسى أن تشتري لباس الإحرام، كان هذا أحد الأمور التي نوى إبراهيم القيام بها خلال هذه الصبيحة " [2]، إذا فقد جاء لباس الإحرام كرمزية للتحول الذي جرى لإبراهيم قبل أن يجيئ كثوب من قماش.

[1] مالك بن نبي، رواية "لبيك حج الفقراء" صفحة 70.

[2] المرجع نفسه، صفحة 60.

المبحث الثاني: دلالة الرمز في الرواية:

المدونات التاريخية مصدر مهم من مصادر معرفة مجريات الأحداث في الأزمات الغابرة، ولكن قد لاتعتبر دائما مصدراً كاملا لصدقية، " وبما أن الرواية هي عمل إبداعي متخيل يستمد من الواقع، أو المدون التاريخي: ليقدمها في سياق سردي يختلف عن سياقات السرد التاريخي، مهما كانت درجات التقارب بين الواقع الحقيقي، والواقع الافتراضي"[1]، نفهم من هذا أن الروائي يقوم بتقديم مروياته وفقاً لرؤاه الفكرية والفنية.

إن توظيف بعض المسميات الشخصية أو المكانية أو الزمانية هو لتكوين فضاء افتراضي لتنامي الحدث الروائي، " وخلق مؤشر دلالي يساهم في إضاءة الأبعاد الدلالية للرموز، والمقاصد التي يسعى الروائي الى نقلها للقارئ " [2]، نفهم من هذا أن تسمية الشخصيات في الرواية وتوظيف أماكن معينة.. له بعد دلالي لرموز ومقاصد يسعى الراوي إلى نقلها للقارئ، ومن هنا فإن الحديث عن رواية لبيك حج الفقراء للروائي مالك بن نبي يدفعنا للبحث عن دلالاتِ رموز الأحداث والشخصيات والفضاءات الواردة فيها " فالحدث الروائي هو حدث افتراضي، بيد أننا لا يمكن أن نغفل عن الدلالة الرمزية لتوظيف الشخوص، والمسميات التي تمتلك جذرا تاريخيا في سياق الحكاية؛ كونها تحمل الكثير من تلك الدلالات، سواء على صعيد شخوص الرواية، أو البعد الزماني لها، أو الفضاء السردي"[3]. نفهم من هذا أن توظيف الشخوص في السياق الحكائي يكون لكونها تمتلك جذورا تاريخية فيه، لذلك نجد السياق الحكائي مشبعا بالدلالات.

[1] أحمد الشطري، الدلالات الرمزية في رواية "طوفان صدفي 2019، ص 71.

[2] المرجع نفسه، ص 67.

[3] المرجع نفسه، ص 68 .

يجترح الروائي أحداث روايته في مكانين حقيقيين تستشف بعض ملامحهما من خلال أحداث الرواية وهما مدينتا بونا (عنابة حديثا) ومكة المكرمة، غير أنه يلجأ إلى التمويه عن النقطة الجغرافية الأولى (عنابة) بلفظة بونا ليضفيَ رمزية أكثر سعة وعمقا على هذا المكان في حين صرح بالمكان الثاني (مكة المكرمة) ليُضفيَ قدسية ومهابة يجدها كل مسلم في نفسه إذا ما ذُكر هذا المكان بصريح العبارة، إنهما فضاءان يَمُتَّانِ للواقع التاريخي ببسمات تشير إليهما، نستطيع أن نستشف أن الاستخدام القصدي لتلك المسميات إنما هو إشارة رمزية تاريخية واجتماعية بالنسبة للمكان الأول (بونا) وإشارة رمزية تحمل بعداً دينياً قدسياً إسلامياً بالنسبة للمكان الثاني (مكة المكرمة)، ونستطيع أن نستشف ان الاستخدام القصدي للفظة (بونا) إنما هو إشارة رمزية لجميع أشكال الغزو الفرنسي واستحضار أيامه المريرة والقاسية، ونلمح ذلك من خلال مقدمة مترجم الرواية "زيدان خوليف" فيقوله: " لم يتسنى لهذه الرواية أن يُعاد نشرها إلا بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة بن نبي، حيث تدور أحداث القصة في مدينة عنابة (بونا إبان الحقبة الاستعمارية)"[1] كما إن الاستخدام الحقيقي للفظة مكة المكرمة قد وظفه الراوي كإشارة رمزية لهوية تاريخ كل مسلم وعربي يرى في بيت الله الحرام اكثر من كونه مسجداً.

ويبدو أن اختيار الراوي لاسم إبراهيم كشخصية رئيسية لروايته؛ جاء بناءً على ما يحمله من مدلول رمزي في الموروث الديني والتاريخ سواء من خلال هجرة النبي إبراهيم الخليل إلى أرض الحجاز أو من خلال رفعه لقواعد البيت مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، ومن بين تلك المرموزات التي حفلت بها الرواية – ولعله أهمها – هو ذلك التحول الذي طرأ على إبراهيم والذي تحول من فحامٍ سكيرٍ معدمٍ في أزقة شوارع (بونا) إلى حاج يطوف بالبيت العتيق وزائر لقبر النبي الشريف، ونلمح هذا التحول في قول ابراهيم وهو يصرخ " أرأيت يارسول الله لقد تركت خيمتي وأولادي كي أتي إليك، لقد

[1] زيدان خوليف، لبيك حج الفقراء (مقدمة المترجم) باريس،5جويليه (تموز/ يوليو)2007، ص17.

قطعت 700 كيلو متر على الأقدام"[1]، ومن هنا نرى أن الراوي أراد في رؤيةٍ تأويلية أن يُلمح في خطابه إلى أن الإنسان والمؤمن مهما حاد عن سواء السبيل فإن إخلاصه لذكرياتٍ ما – عائلية كانت أم فكرية – يمثل غرسا للفرد وعودته للهداية وإن طال زيغه.

إذا فتوظف الرمز في العمل الروائي يعد تحليلا لتلك الظروف الاجتماعية والسياسية التي قام الراوي بسرد أحداثها التاريخية وإنتاج بُناها الثقافية والدينية والإبداعية، و"لبيك حج الفقراء" كرمز يأخذ في عمقه عدة أبعاد: فهي الرمزية التي (تحمل كلمات يناجي بها المسلم ربه خلال فريضة الحج)[2]

فابن نبي؛ لجأ إلى الأجواء التي كان يعيشها الجزائري البسيط في كل مدن الجزائر، ليبين للقارئ مدى طغيان النمط الأوروبي على الجو العام،(فالعم محمد والطفل هادي والسِّكير إبراهيم وزوجته ،كانوا يرمزون ويمثلون الشعب الجزائري بمختلف فئاته، فالعم محمد رمز الأصالة المتجذرة في الأمة، أما إبراهيم فهو يمثل – وعلى انحرافه عن الطريق المستقيم – الجيل الذي احتك وعايش المجتمع الأوروبي في الجزائر..")[3].

ثم نجد الرمزية في ربط المؤلف بين شخصية الطفل هادي وشروط النهضة، "حيث عايش الراوي ارهاصات ثورة التحرير وأدرك أن من قاموا بثورة الجزائر الخالدة، والصحوة التي سبقتها، كانوا أطفالاً قد تتلمذوا داخل أفواج الكشافة "[4]، كما أن هناك دلالات أخرى حملتها رموز ووظفها الراوي في روايته التي بين أيدينا، من بين هذه الرموز:

[1] مالك بن نبي، "لبيك حج الفقراء"، ص 89.

[2] خوليف زيدان، "مقدمة المترجم" في رواية مالك بن نبي "لبيك حج الفقراء"، صفحة 18.

[3] المرجع نفسه، ص 18.

[4] المرجع نفسه، ص 18-19.

رمزية الموروث الشعبي: استعانت " لبيك حج الفقراء" في كثير من أحداثها بالموروث الشعبي الجزائري عامة الذي استحضره ابن نبي وكأنه يريد إجراء مقارنة مع الوقت الذي نعيش فيه فاستخدام هذا الموروث الشعبي؛ جسد لنا دلالة رمزية في الرواية، وهذا ما يقرُّ به في النص مفاده ".. حيث يتخلى الحاج عن ملابسه العادية..الجبة البرنس والعمامة جاسر الرأس"[1]؛ يوظف الراوي هنا الجبة والبرنس والعمامة بوصفها رمزاً للبساطة والعروبة، التي كان يعيشها الجزائري آنذاك،وكأنه يريد منا أن نُحدِث مقارنة بين لباس أجدادنا وآبائنا بالأمس ولباس أبنائنا اليوم.

كما ورد في الرواية.. " أيضا كانت (الميدة) تلك الطاولة القصيرة، الخاصة بمسلمي شمال إفريقيا.."[2]، فهذا الموروث الشعبي " الميدة " أورده الراوي كرمز حمل دلالة العروبة والإسلام والأخوة ولمة العائلات الجزائرية؛ حيث كانت " الميدة " الشيء الذي تجتمع حوله الأسرة للأكل ويتجاذوا أطراف الحديث ولياقشوا مستجدات العائلة في صورة مهيبة تفتقدها العديد من العائلات الاوروبية يقول الراوي في وذلك "..جالسة على السجادة تتجاذب أطراف الحديث مع المدعوين، عن الماضي وذكرياتهم المشتركة التي عاشوها في هذا المنزل"[3]

الرمز التاريخي الديني: "لبيك حج الفقراء": تعد مكة والمدينة أهم رمزين تاريخيين دينيين عرفهما كل مسلم،ولقد استحضر ابن نبي هاذين الرمزين في روايته في دلالة حملت تعظيمهما وعلو شانهما في نفوس المؤمنين، ودلت لفظة "لبيك" عنهما التي يقولها الحاج، في كثير من أحداث الرواية وإن ذكرتا صريحا في أحداث أخرى، يقول بن نبي: "ينبغي الإحساس بالنداء الحقيقي للحج، النداء الذي لا يقاوم كي يلبى بقوة لا تقهر إن في الشتاء وإن في الصيف لبيك أنا لك إلهي، منذ ثلاثة عشر

[1] ابن نبي ،"لبيك حج الفقراء"، صفحة 42.
[2] المرجع نفسه، ص 69.
[3] المرجع نفسه، ص 69.

قرناً وفي كل سنة ينبجس النداء العجيب في داخل النفوس، ليؤثر غالبا في البسطاء فيستجيب للنداء الذين هم في أقاسي البلاد المسلمة، (لبيك ،لبيك)"[1]؛ مكة هي مهبط للوحي والمدينة المنورة مدينة تحمل قبر الرسول الشريف ولبيك كلمات يرددها الحاج في مسيرته ما بين مهبط الوحي وقبر الرسول الكريم،إذاً فكلاهما يحمل رمزاً تاريخياً دينياً، رمزٌ تاريخيٌ تمثل في الكعبة وما يجاورها من مقدسات ورمز ديني تمثل في خاتم النبيين والرسالة المحمدية التي جاء بها للناس أجمعين، " إن الرموز الدينية لاتدرك مقاصدها ومغزاها إلا عبر عملية تأويلية ينهض بها الباحث المتخصص والمسترشد، بمنهج معين من منهج المقاربة ومن ثم فالتأويل الواحد هو الحقيقة، وهو إمكان من جملة إمكانات أخرى في التأويل"[2]، وفي رواية "لبيك حج الفقراء" نجد الكاتب قد وظَّف عدة رموز دينية وكان هدفه في ذلك منح بُعدٍ جماليٍّ وفنيٍّ في الرواية.

ونجد في الرواية " أنا وجماعتي ركبنا من الجزائر العاصمة وقد اتخذنا مكاناً خاصاً بنا على المركب للصلاة "[3] فمن خلال هذا النص نجد أن الكاتب قد وظف رمزاً دينياً ذو دلالة معينة وهو الصلاة؛ التي ترمز إلى الأمن والطمأنينة وذلك من قوله تعالى: " فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة "[4] أي إذا أمنتم من الخوف واطمأنَّت قلوبكم وأبدانكم فأقيموا صلاتكم على الوجه الصحيح، أما من بين الرموز التاريخية أيضا قصة ذكرها بن نبي على عجالة في مجرى أحداث الرواية؛ وهي قصه حاج تونسي كان للقدر رأي آخر منعه فيه الله من أن يحج هذا العام يقول في ذلك الراوي " فجأة على

[1] ابن نبي، "لبيك حج الفقراء"، ص 27-28.

[2] ينظر: بسام الجمل: من الرمز إلى الرمز الديني (بحث في المعنى والوظائف والمقاربات)، كلية الأدآب والعلوم الإنسانية بصفاقس الطبعة1، 2007 صفحة 79.

[3] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، صفحه 83.

[4] سورة النساء، الاية 103.

صوت صراخ قريب من العبَّارة،ولاح للحجاج مشهد محزن بطله رجل ورُقَباءُ المدينة الذين كانوا يحاولون الإمساك به وهو يحاول – بكل ما أوتي من قوة – إدراك العبَّارة التي بدأت تنسحب.."[1].

لقد أشار بن نبي لهذه القصة في نص رسالته إلى الناشر في مطلع الرواية فوصفها بأنها حقيقة يقول ".. حتى مغامرة الحاج الذي مُنع من الحج فهي حقيقية قد شغلت الصحافة التونسية أنذاك"[2]، لكننا رأينا في ذكرها رمزاً يحمل دلالة تاريخية عن التقارب الشعبي الجزائري التونسي،إذ يقول: " لقد وجد إبراهيم في ذلك أن التونسيين أكثر روحانية وبشاشة، كان يفضلهم عن أهل المغرب الذين وجدهم منطويين قليلا منزوين"[3]؛ فهذه الرمزية حملت دلالة عن الصراع الجزائري المغربي والتقارب التونسي في آن واحد.

إذاً نستخلص مما سبق أن الرمز التاريخي في الرواية الجزائرية خاصة يعد استدعاءً لبعض الأماكن والشخصيات التي اقترنت بأحداث التاريخ العربي والمغاربي وأن الرمز الديني في رواية "لبيك حج الفقراء"اقترن بشخصيات وأحداث دينية كشخصية النبي الكريم وحدث الحج العظيم،وعليه فتوظيف الرمز الديني في الرواية منحها جواً روحياً ضمن إطار المقدس" فالرمز الديني يكون بتوظيف سورة من القرآن، وقصص الأنبياء عليهم السلام،أو بعض الأماكن التي لها دلالة دينية "[4](٥4)، وهذا ما وظفه ابن نبي في "لبيك حج الفقراء" وقمنا بفك رموزه.

[1] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص 88_ 89.

[2] مالك بن نبي، رواية "لبيك حج الفقراء" ص 25.

[3] المرجع نفسه، ص 88.

[4] مسعود وقاد،ط.د.عمرة مروة:دلالة توظيف الرمز في الرواية الجزائرية الحديثة – أصابع لولينا لوسيني الأعرج أنموذجاً – ،قسم اللغة والأدب العربي – جامعة الشهيد حمَّة لخضر – الوادي (الجزائر). ص 46.

خاتمة

خاتمة

في خلال هذه الدراسة البحثية في عالم " ابن نبي" الروائي، يصل بنا البحث إلى هذا القدر اليسير من المعلومات؛ ذلك لأن غموض الرمز على العموم يصعبُ فكُّ شِفراته، خصوصا إذا كان هذا الرمز من قامة فكرية كقامة " ابن نبي "،الذي عبَّر بطَّاقة ابتكاريه وبلغة إيحائية رمزية غير مباشرة انبثقت منها العديد من الدلالات التي تطرقنا إليها في هذه الدراسة.

ولقد تضمن بعثنا هذا نتائج متعدد؛ أشرنا إليها في ثنايا البحث، بأس بإيجازها هنا:

خلصنا من بحثنا أنه يصعب إيجاد تعريف جامع مانع للرمز يتفق عليه كلُّ الدارسين والباحثين والنقاد، عَربًا كانوا أم أعاجم

أنَّ " ابن نبي " وظف الرمز تقريبا على جميع مستوياته في عمله الروائي هذا؛ ابتداءً من العنوان مرورا بجميع عناصر الرواية..

الفضاء المكاني الذي جاء في الرواية؛ جاء كعُنصر هام ورئيسي في هذا العمل السردي، ارتبطت به نفسية البطل منذ بداية فصول الرواية ليُصبح دلالةً رمزية إيحائية تعكس الواقع الجزائري الشعبي والعربي ككل اللغة سهلة وبسيطة؛ كون أنَّ الرِّواية مستوحاة من عُمق المجتمع الجزائري؛ فقد حملت ألفاظا عامية ودارجة لا تقل رمزية عن باقي الألفاظ الفصيحة الأخرى .

حسبنا في الأخير أننا قد خُضنا أوَّل تَجرِبة بحثية ألممنا ولو بجزء بسيطٍ فيها بعناصر هذا البحث المفتوح سواءٌ في النَّموذج الذي عالجناه؛ والذي أدلينا بدلونا في تحليل مضامينه أو في الحقل الرمزي عامة، هذا وإن وُفقنا فمن الله وحده وإن زللنا أو أخطأنا فمن أنفسنا.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار الصادر، بيروت، 1997.
- إدريس الناقوري، ضحك حتى البكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1986، المرجع نفسه
- اميا حبيبي, فاعلية الرمز في رواية " المتشائل "، مجلة الآداب واللغات، المجلد: 9، العدد:01.
- بسام الجمل: من الرمز إلى الرمز الديني (بحث في المعنى والوظائف والمقاربات).
- التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد زين، ج1، القاهرة/ مؤسسة هنداوي 2019.
- جميل حمداوي، سيميوطيقيا العنونة، مجلة عالم الفكر، مجلد: 25، العدد: 03 ، يناير/ مارس 1997.
- حسن سالم هندي اسماعيل: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ،دراسة في البنية السردية، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع عمان ،الطبعة الأولى، 2014.
- حسن كريم عاتي، الرمز في الخطاب الأدبي، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع/ بغداد، ط1، 2015.
- د.سارة نجر ساير العتيبي، الرمزية وتجلياته في الشعر العربي الحديث مجلة قسم اللغة العربية – كلية التربية بالمزاحية –.
- الرمز في الخطاب، جامعة ذي قار، العراق – قسم اللغة العربية –المجلد: 04/ العدد: 02.
- شريف عكازي: طبيعة التلازم بين الشخصية الروائية والحيز المكاني_ مجلة منشورات مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب ،جامعة قاصدي مرباح/ ورقلة، العدد الخامس ،ديسمبر 2013.
- شهيب عادل، الثقافة والهوية_ إشكالية المفاهيم والعلاقة، جامعة جيجل/ الجزائر.

قائمة المصادر المراجع

- الصمادي، إسماعيل ناص، التأريخ التاريخي مبين السبي البابلي وأرائي الصهيوني؛ التأريخ التوراتي المزيف بين إسرائيل الكنعانية وإسرائيل العبرية وإسرائيل الصهيونية، الكتاب الثالث، دار مؤسسة رسلان/ سوريا (2015).
- ضياء الثامري، العنوان في الشعر العراقي المعاصر/ أنماطه ووظائفه، مجلة جامعة القادسية في الآداب والعلوم التربوية".
- عمر مسقاوي 2017, رواية لبيك حج الفقراء لمالك ابن نبي, (المترجم زيدان خوليف)دمشق, دار الفكر دمشق.
- القادر رحيم: العنوان في النص الإبداعي أهميته وأنواعه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر ،العدد 2_3، 2008.
- القيومي سعيد محمد، جدلية الأنا والآخر (رواية المتشائل أنموذجا)، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد:19، العدد:1 (2011)
- مالك بن نبي، رواية "لبيك حج الفقراء"،ت .زيدان خولف، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1 2013، الجزائر.
- محمد التو نجي، المعجم المُفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ج2 1999
- محمد عزام , الراوي والمنظور في السرد الروائي.
- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف/ القاهرة، ط19984، مجلة مقامات، المجلد ر: 04 ، العدد: 02 (2020).
- مرسيا إلياء: المقدس والمدنس،ترجمة ،عبد الهادي عباس،د.دمشق للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق سوريا، الطبعة الأولى،1988.
- نسيب النشاوي1984، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، الجزائر، ط1

- نعيم آل مسافر، رواية كوثاريا، بغداد 2014.
- يوسف شلحت: بُنى المقدس والمدنس عند العرب قبل الإسلام وبعده،تح: خليل أحمد خليل،دار الطبعة، بيروت،لبنان،ط،2004.

الفهرس

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

بسملة

كلمة شكر

إهداء

مقدمة .....أ

الفصل الأول: الرمز في الدراسات الأدبية

1- المبحث الأول: مفهوم الرمز: 10

2_ المبحث الثاني: الرمز في الدراسات الأدبية 14

3-المبحث الثالث: الرمز في الرواية الجزائرية: 18

❖ رموز الشخصيات: 21

❖ شخصيه الراوي: 22

❖ رمزيه المكان: 22

❖ رمزية الزمن : 24

❖ رمزية الحيوان : 27

الفصل الثاني: تجليات الرمز ودلالاته في رواية لبيك حج الفقراء

المبحث الأول: تجليات الرمز في رواية لبيك : 30

أولاً الإطار الرمزي للرواية: 30

ثانيا :رمزية الفضاءات المقدسة والمدنسة 32

المبحث الثاني: دلالة الرمز في الرواية: 48

خاتمة 56

قائمة المصادر والمراجع: 58

فهرس المحتويات 62